يا حسين

رئيس التحرير
أحمد عبد الحسين

الصباح
ALSABAH NEWSPAPER

16 صفحة
www.alsabaah.iq
ch.editor@alsabaah.iq

ملحق خاص يصدر عن جريدة الصباح بمناسبة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

هو الحسين أبداً

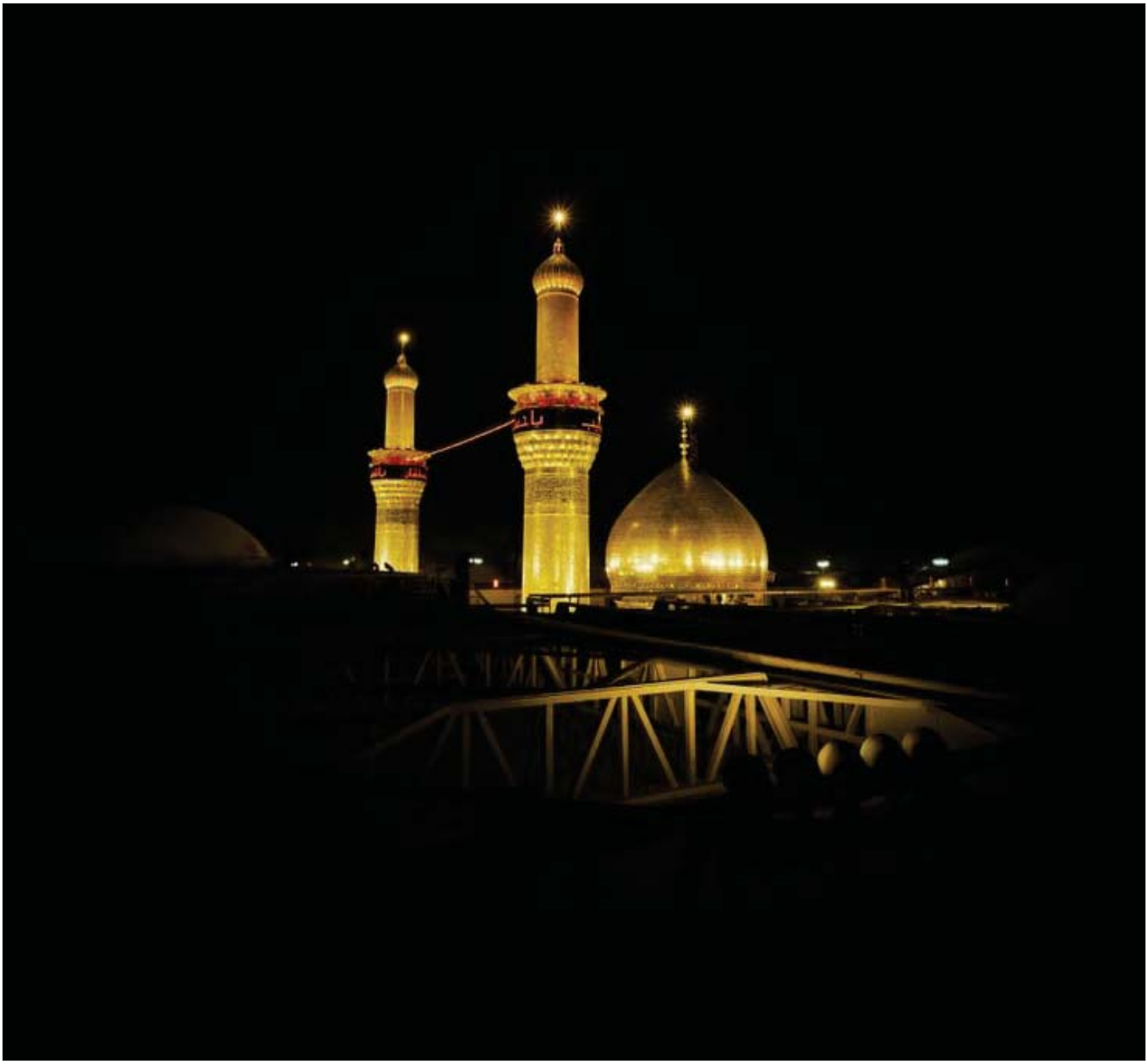

الصباح
ALSABAAH NEWSPAPER
هيأة التحرير

مدير التحرير
نزار عبد الستار

سكرتير التحرير
وسام عبد الواحد

رئيس القسم الفني
مصطفى الربيعي

التصميم
خالد خضير

الاعلانات:
ads@alsabaah.iq
موبايل:
07809174852

العلاقات العامة
موبايل: 07809174853
pr@alsabaah.iq
info@alsabaah.iq

التوزيع والاشتراكات:
موبايل: 07809210536
dist.imn@alsabaah.iq

مطابع شبكة الإعلام العراقي
IMN PRESS

ملحق خاص يصدر عن جريدة الصباح بمناسبة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

هو الحسين أبداً

جواد علي كسار

(1)

تتهافتُ الكلمات وتتهاوى أمام واقعة العاشر من المحرم سنة 61 للهجرة، فمهما بلغ الكلام من الفصاحة، ومهما ارتقى شأواً عالياً من البلاغة يبقى عاجزاً عن مستوى مصارع الكرام، ومصرع الإمام سيّد الشهداء في كربلاء.

بيدَ أنَّ المذهل حقاً أنَّ هذا العجز في الإنسان حرّك مكنوناته الداخليّة، فتفجّرت ينابيع العقول تكتبُ عن الحسين وواقعة الطف، وانطلقت قريحة الشعراء منذ أول يوم الحسين ولم تزل، وقد احتشدت أدوات التعبير الأدبيّة والوجدانيّة وصورها الفنيّة، في الحديث عن ذلك المشهد، وتوالت القرون والأزمان وما زالت كربلاء أقصوصة سؤددٍ ومجدٍ وحقّ، تتواصل في النفوس والوجدان والعقول، وتبرز مظاهر كريمة في الشعائر وحركة الإحياء الحسيني.

هكذا كانت كربلاء، وهكذا ستبقى ويبقى معها هتاف زينب حاضراً: "فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوا الله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا".

(2)

ما إنْ سقط آخر شهيدٍ من شهداء الطف في واقعة ما بعد ظهر العاشر من محرم الحرام سنة 61هـ، حتى انطلقت حركة الإحياء الحسيني في أرض الطفوف نفسها، بمواقف عقيلة الأسرة الهاشمية زينب بنت علي، والإمام علي بن الحسين السجاد، ثمّ توالت حلقات الإحياء في الزمان والمكان دون انقطاع، حتى وقتنا الحاضر.

لولا حركة الإحياء الحسيني بأشكالها المنوّعة وأداءاتها المختلفة، لصارت واقعة كربلاء أثراً بعد عين، ولطُمست معاني يوم الحسين وتضحياته وأنصاره وأسرته. فبالإحياء ومن خلال مظاهره المكثّفة، وبإصرار الجمهور الحسيني على ذلك دامت كربلاء، في صلة غير بعيدة عن إرادة السماء.

في حديث جامع يشير الإمام جعفر بن محمد الصادق، إلى مشروعية عدد من مراسم الإحياء الحسيني وتأريخية شعائر الإمام سيد الشهداء، ويشيد بها مجتمعة في كلام له مع أحد الرواة، يذكر فيه ما يجري عند مرقد جدّه الحسين، وهو يقول في نبرةٍ مستَخبِرة: «بلغني أن قوماً يأتونه من نواحي الكوفة وناساً غيرهم، ونساءً يندبنه.. فمن بين قارئ يقرأ، وقاصٍ يقصّ، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي» فيجيبه الراوي، بقوله: نعم، قد شهدتْ بعض ما تصفه.

عندئذ يقول الإمام الصادق: "الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا، ويمدحنا، ويرثي لنا".

(3)

ليست المسألة قاصرة على حديث أو اثنين، بل اللافت للنظر كثافة الأحاديث والروايات والنصوص المأثورة الحاثّة على إحياء يوم الحسين، وإبقاء جذوته مشتعلة في النفوس والضمائر والعقول على مرّ القرون وإلى أبد الدهر، إذ تبلغ هذه النصوص مجتمعة المئات.

بديهيٌّ أنَّ مراسم الإحياء الحسيني في تمظهراتها المشروعة ليست وليدة اليوم، ولا هي من سنخ الممارسات المستحدثة، بل لها في تأريخ المسلمين وقاعدة الولاء الشعبي لأهل البيت، امتداداً إلى القرن الهجري الأول، وهي تخضع في شكلها الاجتماعي وتعابيرها الأدائية، إلى إطار تشريعي يؤسّس لمشروعيتها، ويحثّ على ممارستها في أوساط المسلمين كافة.

في سبيل تحقيق ذلك ترسّخت في الوعي العام للأمة ولاسيّما قاعدة الولاء، جملة مسارات لإحياء ذكرى السبط الشهيد والإبقاء عليها، كان منها الزيارة وشعر الرثاء ومآتم العزاء والمواكب والإطعام وما شابه.

هكذا صار لمراسم العزاء والإحياء بمجموعها العام، منطلقها في التخطيط الديني وفي الفكر السياسي والاجتماعي للنبي وأئمة أهل البيت، حين ركّز الأئمة على تحويل نمط الإحياء إلى ما يشبه المؤسّسة الكاملة، وهي تنطوي على أهداف عقدية واجتماعية وتربوية وثقافية وسياسية، تعاضدَ على تحصين ممانعتها الرافد الديني في المشروعية، والمراكمة التأريخية في الممارسة والأداء، ما يحوّلها إلى ذخيرة عظيمة في واقعنا العراقي الحاضر، لو توفر لها التخطيط البصير، والاستثمار الواعي الحكيم، وهي تتحرّك دائماً أبداً في المدار الحسيني وأفقه المضيء المبين.

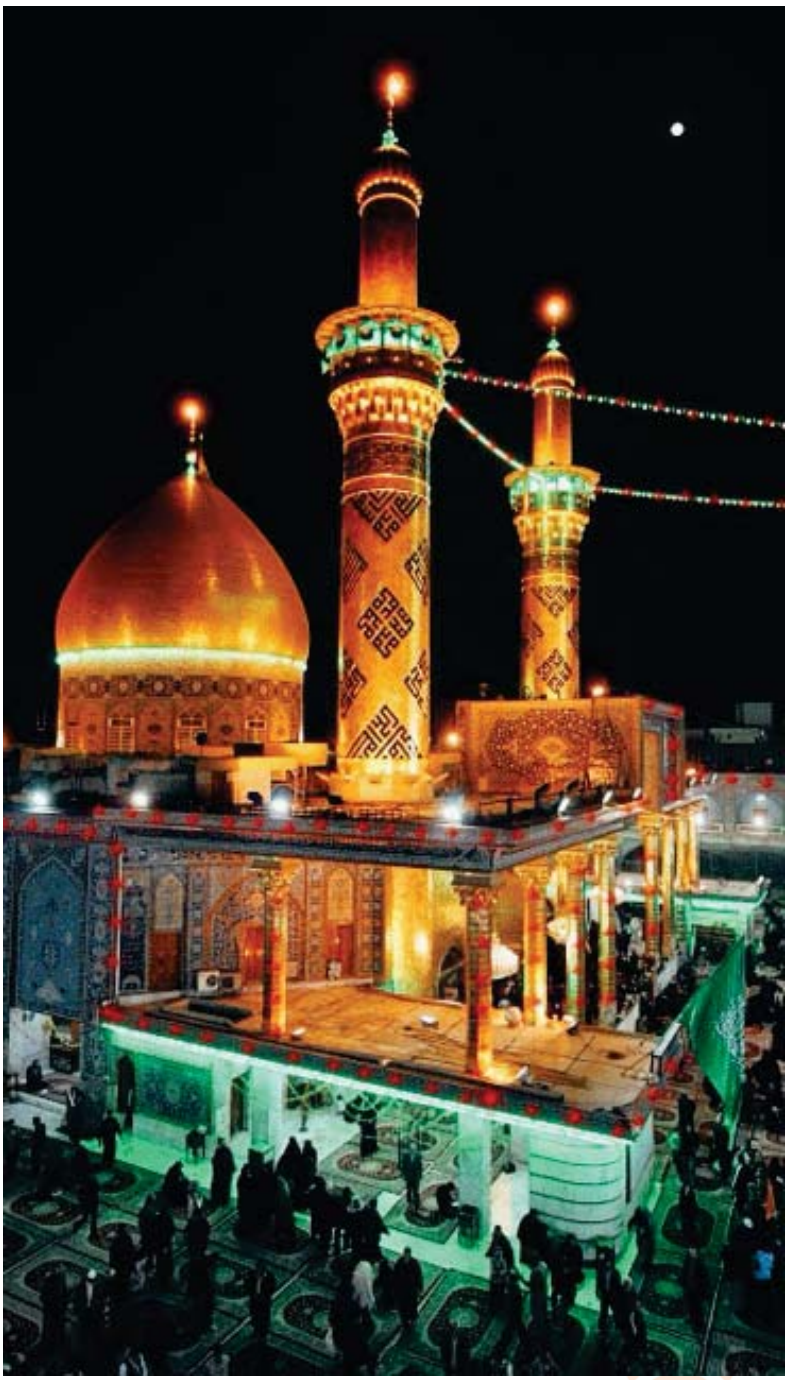

ثورة الحسين.. البدايات والأصول

حازم رعد

يطلقُ عـادة على المقدمات التي تسـبق حدوث الشـيء وتحقيـق الشـيء "سـواء كان حدثـاً أو فكـرة وغيرهما" بالإرهاصات، ويشـير المفهوم الى البدايات التي قام فيها الحدث، وكذلـك يعني الأصول التي قـام وارتكز عليها، وعليه سـيكون كلامنا عن إرهاصات الثورة الحسينيَّة في مستويين مهمين هما..

الأول: البدايات التي مهدت للثورة الحسينيَّة.

الثاني: الأصول التي قامت عليها تلك الثورة.

وللحديث عن البدايات التاريخيَّة لابُدَّ علينا أولاً استحضار "الأيـام الأولى لوفاة الرسـول الأكـرم "ص" وما تلاها من أحداث"، طبقاً للقاعدة الفلسـفيَّة التي تقول [لا شيء من لا شـيء]، فالأحداث لا تنقطع عن تاريخها الذي يشـكل نواتها الأولـى في تظهيرها ونموهـا وتطورها، فبعيد وفاة النبي الأكرم محمد "ص" واعتلاء أبي بكر سـلطة الخلافة الراشدة "كأول الخلفاء" بدت ملامح إبعاد الهاشميين عن سدة السـلطة "فلم تنط بهم أيّ من الولايات والمناصب الإداريَّة ولا قيادة الجند" عدا المشـورات التي كان الإمام علـي "ع" يشـير فيها على السـلطة آنذاك فـي ما يتعلق بالقضايـا العامَّة التي تتعلق بالإسـلام كديـنٍ ومجتمعٍ، فتدَّخُله كان استشـارياً غير ملزم، وأيضاً كان بمبرر حفظ ومداراة الدعوة الإسـلاميَّة حتى لا تنحرف أكثر ممَّا حصل فيهـا، وهذا الأمر معنـاه تقويض نفوذ الهاشـميين وفتح متنفـسٍ لخصومهم التقليديين "بني أميَّـة" للبروز على مسرح الأحداث.

ومع الخليفة الثانـي والثالث، اختلف الأمر من جهة بني أميَّة فقد تقلـدوا مناصب كثيرة وتناوبـوا على الولايات، فكانت ولايتا الشام والعراق من نصيبهم بشكلٍ مطلقٍ، وبذلك أحكموا بفضل دهائهم وبفضل أموال المسـلمين التي اسـتثمروها لتوكيد نفوذهم من زيـادة قوتهم وجمع الموالين والأنصار حولهـم، وأيضاً لتغييـر وتحريف ما يمكن من المفاهيم التي هي تالياً ستصبُّ في مصلحتهم، وكان معاويـة الذي رأس الشـام بعد مـوت أخيه يزيد بن أبي سـفيان أكثرهم دهـاءً فقد عمل منذ بدايات تسـلمه ولاية الشـام على قطع الصلة العقائديَّة والدينيَّة مع مركز الخلافة.

ناهيك عن المنهج الذي اتبعه بنو أميَّة في التعتيم الكامل عـن فضائل ومزايا أهل البيت "ع"، بل العكس ما جرى هـو اسـتئجار عمـال "وعاض سـلاطين" مـن محدثين وخطباء يسبون الإمام علي علناً على المنابر واستمرَّ ذلك الى حين تملك عمر بن عبد العزيز ونهى عن تلك السنة، وقـد روي أنَّ من أولئك المسـتأجرين عمـرو بن العاص وأبو هريرة وسـمرة بن جندب والمغيرة بن شـعبة وعروة بن الزبيـر وغيرهم، وكانت مهمَّة هؤلاء وأمثالهم اختلاق أخبارٍ تـذمُّ الإمام علـي (ع) وتضفي طابعاً من القدسـيَّة على معاوية، وأحاديث تمنع الأمَّة من التذمر من الحاكم الظالـم وتحضّ على عـدم الخروج عليـه، وكذلك تخدير الأمة بافيون "الأفكار الجبريَّة التي ترسـخ فكرة أنَّ الناس مجبـرون على هذا الواقع وليس لهم الخروج عليه لأنَّ الله قد اختار لهم ذلك والإنسان غير مخيرٍ إزاء ذلك".

إنَّ مـرور نحو عشـرين عاماً بالسـب وتحريـف الحقائق والتدليـس ونشـر الأفـكار المضللـة، له تأثيـر كبير في تجهيـل أجيالٍ من المسـلمين، حتى أنَّـه في قبال ذلك قام الإمام الحسين "ع" قبيل وفاة معاوية بعامٍ تقريباً بأنْ عقد مؤتمراً في "منى" جمع فيه بني هاشـم رجالاً ونسـاءً ومواليهـم حتى قيل إنَّ عددهم سـبعمئة رجلٍ فيهم من الصحابـة وعامتهم مثنا شـخصيَّة ليحدثهم بفضائل أهل البيت ويفسـر لهم من القـرآن الكريم ويذكرهم بأحاديث رسـول الله، ويعدُّ مثل هكذا مؤتمـرات واجتماعات ضداً نوعياً لما قام ويقوم به معاوية من حملاتٍ لتشـويه صورة أهـل البيت "ع" فـي أعيـن عامَّة المجتمع الإسـلامي، وأيضاً تعدُّ هكذا ملتقيات حلقة من حلقات التصعيد ضد سلطان معاوية، وكسراً لحواجز التضييق والحصار الذي اصطنعه عليهم لمدى عشرين عاماً.

وعـودة على إجـراءات معاوية لطمس تـراث أهل البيت (ع)، فقد أجرى معاوية سلسـلة من الإجـراءات الأمنيَّة المشـددة وعمليات القتل والإبادة لـكل اتباع الإمام علي "ع" المهميـن ولعلَّ رأسـهم هو حجر بن عـدي، وأيضاً عمـل معاوية على تحويل النظام من الخلافة الى الملكيَّة فقد عمل كملك في إقليم الشـام حتى أنـه يروى أنَّه كان يـردد "أنا أول الملوك"، وما الخبر الذي ينقل اسـتقباله بموكـبٍ كبيرٍ احتفاءً بقدوم الخليفة الثاني على الشـام إلا دليلٌ واضحٌ على ذلك، فقد تعجب عمر بن الخطاب من تلك الأبَّهة وذلك البذخ والاسـتعراض الكبير وسـأله عن ذلـك فأجاب معاوية بدهاءٍ كبيـرٍ بأنَّه في أرضٍ يكثر فيها جواسيس الأعداء ولا بُدَّ أنْ يظهر أمامهم بأعلى حلة وأبهى صـورة يكون فيها عز الإسـلام، ثم أردف يقـول للخليفة

الثاني "فإنْ أنتَ نهيتني أو أمرتني فأنا عند طوعك!".
فردَّ عليه الخليفة بأنه لا يأمره ولا ينهاه.
وبذلك تـرك الباب لـه مفتوحـاً لفعل ما يشـتهيه، فإنَّ سـكوت الخليفة رضا بالذي شـهده، من هنا كانت أولى حلقـات قلب الخلافـة الى ملكيَّـة، تبعهـا الصلح الذي أجراه مـع الإمام الحسـن واختطاف الخلافـة منه بإغراء قادة الجند وتشـتيت جيش الإمام أحكـم قبضة معاوية على البلاد الإسلاميَّة برمتها.
ناهيك عـن التشـقق والتشـظي الحاصل فـي المجتمع الإسلامي الذي أثر سلباً في الواقع الذي يعيش المسلمون بكنفه وأيضاً ألقى بظلاله السـيئة على مفاهيم الإسـلام، فهناك فـي الحجاز الزبيريـون الذين اتخـذوا لهم دويلة ويطمحـون أيضاً بتملك البـلاد الإسـلاميَّة؛ الأمر الذي أضعـف جبهـة العلويـين "الحسـن والحسـين" فإنـه لمجرد عدم إسـنادهم خلافة الحسـن وعـدم وقوفهم مع الحسـين يعدُّ تخاذلاً ومدداً لنفـوذ الخصم وهو معاوية بن أبي سـفيان، وأيضاً هنـاك الخوارج الذين شـقوا الصف الإسلامي، الأمر الذي عزز نفوذ معاوية واشتداد قوته.
أما المسـتوى الآخر، فهو الأصول التي قامت عليها الثورة الحسـينيَّة وشـكلت إطارها الفلسـفي "الرؤيوي النظري والشرعي العملي" فإنَّ أهم تلك الهياكل التي تنبري أمامنا هـو إرادة الإصـلاح التي قصدها الإمام الحسـين "ع" في ذلك النهوض وذلك المشـروع الذي تحمل هو الحسـين عليه السلام أعباء القيام به.
والإصلاح يكون وفق اشـتراطات أولها: وجود الانحرافات في الواقع وهي الاعوجاجـات التي يمكن أنْ نحدّ لها حداً تاريخياً منذ اغتصاب الخلافة "بحسـب المنظور الإمامي للموضوع" فإنَّه كان الانحراف الأول في مسـار الشـريعة الإسـلاميَّة ويتطلب ذلك تدخلاً من شـخصيَّة ذات نفوذ ولهـا الأسـبقيَّة والأحقيَّـة في هـذا الأمر يكون هـو قائداً للحـراك الإصلاحـي لتعديـل ذلـك المسـار أو خلخلته بإحـداث اهتزازاتٍ في بِنْية النظام لمنعه من التغول أكثر والتمدد بشـكلٍ أوسـع، ناهيك عن الانحرافات الأخرى التـي جاءت بعرض ذلـك الانحراف من الفسـاد والابتزاز والقتـل وانتهـاك الحرمات ونشـوء الطبقيَّة في الإسـلام وذيـوع التمايز بين النـاس وما الى ذلك مـن موبقات لا يمكن حصرها في مقالنا هذا.
ثانيها: ففي ذات السـياق أعلاه فإنَّ للحسـين حقاً قانونياً في إسناد الخلافة إليه بعد موت معاوية طبقاً لبنود الصلح التي جـرى تأكيدها بين الإمام الحسـن (ع) ومعاوية بن أبي سفيان بأنْ تعودَ الخلافة الى الحسين بن علي بعد أنْ يموت معاوية وألا يتخذ الأخير أي إجراء لتوريث أحدٍ من بعده، ونكث معاوية للعهد ذاك وتسـنم يزيد بن معاوية وتصديـه لإمارة المسـلمين جعل الحسـين (ع) ينتفض بالضد من هذا الإجراء "المنحرف" والوقوف بوجهه، وقد صرح الإمام الحسـين بذلـك وهو في طريقـه الى العراق في منطقة تسـمى الثعلبيَّة حين لاقاه رجلٌ يدعى أبو هرة الأزدي حيث سلم الأخير عليه وقال للحسين (ع) يا ابن بنت رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك محمد (ص).
فقال الحسـين (ع) يـا أبا هرة [إنَّ بني أميَّـة أخذوا مالي وصبرت وشـتموا عرضـي فصبرت وطلبـوا دمي فهربت، وايـم الله يا أبا هـرة لتقتلني الفئة الباغية وليلبسـهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وليسلطن الله عليهم من يذلهم].
فالحسين أكد على مسألة أخذ حقه (أخذوا مالي فصبرت) وأنَّ لـه حقـاً قانونياً طبقـاً لأمـر الله أولاً وللمواثيق التي عقدت بين الحسـن بن علي ومعاوية بن أبي سـفيان من جهة أخرى.
كذلك إنَّ للحسـين أصلاً آخر وهو أصلٌ دينيٌّ يحتمُ عليه الثورة ضد حكم آل أميَّة، ومستند هذا الأصل هو الوقوف بوجـه الحاكـم الجائـر الذي أمعـن ظلماً وقتلاً وتعسـفاً للمسلمين وغيرهم داخل الجغرافيا الإسلاميَّة، وقد أدلى الإمام الحسـين بتصريح وقد جاء ذلك فـي كتبٍ وجهها الى بعض واجهات وأشـراف الكوفـة حيث قال (من رأى سـلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسـنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لـم يغير بقـول ولا فعل، كان حقيقاً علـى الله أنْ يدخله مدخله).
وأيضاً لاحظ الإمام الحسين وجود تغييرٍ متعمدٍ للمفاهيم الإسـلاميَّة وحرفهـا عـن معانيهـا ودلالاتهـا واستشـراء الاتجاهـات الفكريَّة المنحرفـة المدعومة من النظام مثل "المرجئة والجبريَّة" وغيرهم ما حدا به للإسـراع بالوقوف إزاء ذلك المشـروع الذي تتسع مسـاحة تمدده يوماً بعد يومٍ ما يسهم في تشـويه الأفكار وقلب الصورة الإسلاميَّة والقرآنيَّـة وحرف الـكلام عن مواضعه فـكان ذلك إيذاناً بالتصـدي والثـورة على النظـام الذي يفتعـل مثل تلك الأفاعيل، وكانت كلمات الإمام الحسين "ع" أثناء إعلانه الخروج الى كربلاء فيها إشـارة واضحة الى تلك المسـألة (ألا ترون أنَّ الحق لا يُعمل به وأنَّ الباطل لا يتناهى عنه).
كذلـك كان قيـام الإمـام الحسـين أداءً لفرضـي الأمـر بالمعـروف والنهي عـن المنكر، فبعـد كل الذي حصل وجـرى بيـن ظهرانـي المجتمـع الإسـلامي من تعسـفٍ وانحرافاتٍ وفسـادٍ وتنكيلٍ بالخصوم وعدم الارتداع أمام الموبقـات والممنوعـات كان لزامـاً على الحسـين كمبلّغ للرسالة بعد النبي بوصفه "إماماً مفترض الطاعة" وبوصفه مؤديـاً بتبليغ الاحكام كهكلـفٍ أنْ يأمر بالمعروف ويضع حداً أو يسـاعد في كـف الانحراف وأنْ ينهـى عن المنكر بالصورة التي يتمكن منهم وبالشـكل الذي يتناسـب مع حجـم الانحراف، ولـذا هو قدم دمـاءه الزكيَّـة قرباناً في مشـهدٍ يدلل لنا على فداحة الانحراف وكبر حجم الفسـاد الذي دفع شـخصاً مثل الحسـين للتصـدي وإهراق دمه الطاهر ليكون حائلاً دون هتك بيضة الإسلام.
إنَّ تلـك الأصـول والبدايات التاريخيَّة هي التي شـكلت "الفلسـفة العامة لقيام ثورة الإمام الحسين "ع"، وكانت لها الأثر البليغ في بلورة تلك الرؤية "القيام بالثورة" وإرادة الإطاحـة بحكم يزيـد أو خلخلة هياكل حكمـه، أو فتح نافذة ومسـاحات للثورات من بعده، فدم الإمام الحسين ليـس كأي دمٍ آخر "فهو حينما سـقط على الأرض" ألهب النفوس وألهـم الرجال للقيام وأخذ الثأر، وهذا ما حصل فعـلاً فمن خلال ملاحظات سـريعة للثورات التي توالت بعد مقتل الحسـين يفهم ماذا قصد الإمـام بثورته تلك، فثـورة أهل المدينة وثورة التوابين وثـورة المختار الثقفي وثـورة أهل الموصـل وأبناء المناطق التي مـرَّ بها الركب الحسـيني شـاهدٌ علـى أنَّ دم الحسـين ألهـب النفوس والأرواح حتـى وصـل الأمـر لعـدم اسـتقرارها البتة بعد استشـهاد الحسـين "ع" فقد فقدت كل أوجه شـرعيتها ومصادر قوتها بعد تلك الفجيعة على تراب كربلاء وأسقط تالياً تلك الدولة بفضل تلك الدماء الطاهرة.

عاشوراء.. فقه الأحرار وملهم الثوار

إبراهيم سبتي

إنَّ أيـام عاشـوراءِ هـي موسـوعة الأحرار وعشـاق الإصلاح المسـتمدة من ثورة سبط النبيّ في فاجعة الطـف الخالـدة فـي كربـلاء، والتي قضـى الإمامُ الحسـين عليه السـلام فيها شـهيداً، مع أهلِ بيتِه الأطهار وصحبِه الأبرار.
إنَّ الإمـام الحسـين عليـه السـلام، كانَ ومـا زالَ وسيظلُّ شاخصاً خالداً بمشروعِهِ الثوري الإصلاحيّ وإنسـانيتِه الهادرة التي تجلَّت حتـى مع أعدائه في تلـك الواقعة، خالـداً هو بمـا أتى به ومـا آمن بما صدق به، قادماً توافاً للتغيير مصطحباً معه نسـاءَ الرسـالة الأصيلة وصحبَه الأبرار من مختلف شرائح المجتمع، وهـذا دليلٌ لا يقبل الشـك على احتواء الثورة الحسـينيَّة للجميع، مؤكداً أنَّه خرج من أجل الكل والإصـلاح والتقويم والتهذيـب الذي يبتغيه سـيعود بالتأكيد على كل الناس من دون استثناء، وبرهانٌ ساطعٌ على وقوف الإمام الخالد مع مظلوميَّة الجميـع مـن دون النظـر الى العـرق أو اللـون أو الطائفة أو الهويَّة.
إنَّ إنسـانيَّة الإمام الحسـين "ع" التي تجلّت أكثر في عاشـوراء، يسـتمدُّ منها الثوار على طول المدى مـن أجل مسـتقبلهم والأحرار من أجـل حريتهم، الـدروسَ الخالـدة والعِبـرَ الراسـخة فـي مبـادئ الباحثين عن الإيثار والعزم للوقوف بوجه الإجحاف والاسـتبداد والحيف، ونصـرة المظلومين في كل زمان ومكان.
إنَّ الحسـين الثائـر، هـو رمـزٌ للتحـرر والتعايش السلمي والإنسـاني والتصالح مع الذات، فهو سبلٌ جامعٌ لـكل الأحرار، لا يقف عند مذهـبٍ معينٍ أو طائفة بذاتها أو قوميَّة ما، وقد تحوّل من شـخصيَّة قاد ثـورة عارمة علـى الطغيان، الى شـاخصٍ لكل الثوار الطامحين للخلاص ومن رجلٍ مؤمنٍ بمبادئ الدين الحنيـف وتعاليمه، الى رمزٍ شـامخٍ للإيمان والـورع والوفـاء والتقى، ومن رجـلٍ مصلحٍ ومعلمٍ إلى رمزٍ للإصـلاح والتقويم ونبذ الفسـاد، فصارت ملحمته بمثابة إيقونة تاريخيَّة سـجلت كأبرز حدثٍ في تاريخ التحرر والشهادة ضد الذل والخنوع.
إنَّ الذين استشهدوا في يوم الطف في كربلاء، رفعوا دعوة الإسـلام إلى الخيـر والصلاح والبقـاء وإدامة الديـن والنهي عن الذل والفسـاد والشـر، وصاروا مثـالاً حقيقياً ظاهرا للأمة، وصنعوا مفهوماً سـاطعاً جلياً في نكران الذات والتمسـك بالأخلاق المثاليَّة من أجل مصير الديـن والوطن من دون النظر الى خسائر الأجساد وخسارة الدنيا التي وضعوها خلف مـا آمنوا بـه وضحوا لأجلـه. ومن هنا فإنَّ مدرسـة

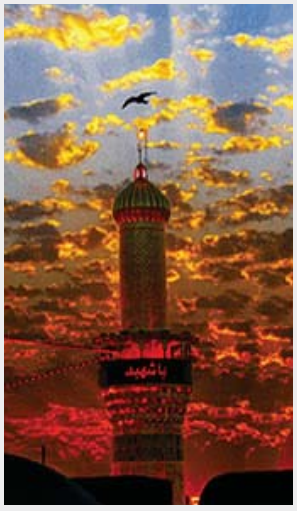

الإمام الحسـين عليه السـلام هـي تعبيـرٌ أخلاقيٌّ وإنسـانيٌّ رفيـعٌ ونموذجـيٌّ للاستشـهاد والتضحية والبذل في سـبيل الله والوطن والشـعب، ومثالٌ لا ينسـى فسـجلت مكانة روحيَّـة لا يمكن تخطيها أو إنكارهـا على جميع المسـتويات الإنسـانيَّة. إنَّها رسالة مفادها أنَّ الثورة هي ملحمة الإنسان المظلوم الباحث عن حقـه وحريته وحياتـه أينما يكون في هذا العالم المليء بالقهر والاضطهاد والكبت.
إنَّ الشـعب العراقـي الصابـر المجاهـد الكريـم المضحـي، الذي تشـهد لـه الدنيا وأيـام الصعاب والـذي لم يبخـل يوماً بأي شـيء من أجـل البلاد بـكل خارطته من شـماله إلى جنوبه، ومن شـرقه إلى غربه، يسـتحق مسـتقبلاً وحيـاة تليق بحجم ومسـاحة هذه التضحيات، وأنْ يهـبَّ الجميع من القادة والساسـة الى رسـم صورة سـاطعة للنهوض به والتخلص من آفة الفسـاد الفتاكة، لأنَّ الشعب العراقـي خُلِقَ ليرسـم حياة مطرزة بألـوان الجمال والخير وهو تواقٌ أبديٌّ إلى الحياة الكريمة ولا يحب الفتنة بكل صنوفها، ولا النزاعات بكل أشكالها ولا الانتقام ولا التناحر. إنه شـعبٌ يتطلع الى مستقبلٍ مشرقٍ باهرٍ وزاهرٍ يضاهي ويساوي حجم التضحيات التـي قدمّهـا والمعاناة التي مرّ بها. شـعبٌ يسـتمدُّ عافيتـه وسـلامته من ثورة الحسـين عليه السـلام والتي صارت فقهاً وملهمة وعنواناً بارزاً لكل أشـكال التحرر والحياة الكريمة في شتى بقاع الأرض.

ثورة الإمام الحسين بين الشهادة والفتح

لم تكن ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) في مجرياتها وأسبابها وأهدافها المعلنة فحسب مدعاة للنظر والتأمل ومصدراً للدرس والعبر برغم ما في ذلك من أبعادٍ إنسانيّة وأخلاقيّة ودينيّة وسياسيّة وغير ذلك مما لا يُدرك؛ بل أنَّ ما تخللها من رسائل وخطبٍ ووصايا تحمل في مضامينها الظاهرة والخفيّة ما يحتاج إلى إذنٍ واعية وذهنٍ متفتحٍ قادرٍ على قراءتها وفق منظارٍ يُمَكِّنُ الناظر من خلاله الاقتراب من مدلولاتها وسبر خفاياها.

أحمد الشطري

ولعلَّ من أكثر تلك الرسائل والعبارات التي وردت عنه (ع) بياناً لسر ثورته وتوصيفاً لغاية قيامه، وإنْ كانت عميقة في رمزيتها وخفيّة في معانيها وبعد مؤولاتها هي تلك الرسالة التي أرسلها لبني هاشم كما ذكرت ذلك العديد من المصادر، ومنها بحار الأنوار للعلامة المجلسي والتي جاء فيها "من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح" وهنا أمران: الأول: يتعلق بيقينيّة الشهادة، وفي هذا دلالة على أنَّ الإمام (ع) كان عارفاً بما ستؤول إليه ثورته من حيث الأثر الظاهري وهو القضاء على الثورة عسكرياً وقتل القائمين بها، وفي هذا دلالات متعددة منها:

1 - إنّ الغاية من تلك الثورة لم يكن الوصول إلى كرسي الحكم كما يتوهم البعض.

2 - إنَّ الرسائل التي بعث بها الكوفيون لم تكن هي المحرض والدافع لهذه الثورة.

3 - إنَّ الأثر الآني لم يكن وارداً في أهداف الثورة، وإنما كان هدفها بعيد المدى وهو ما تحقق وما زال يتحقق في كل يوم.

4 - إنَّ دعوته لبني هاشم لنصرته لم تكن الغاية منها تعزيزاً لقوة جيشه بل هي تعزيز لمكانة من يلحق به منهم خلوداً في الدنيا والآخرة كما هو شأن من استشهد معه.

5 - إن الغاية الأهم كانت طلب الشهادة، وهي غاية لا يمكن إدراكها إلا بصحبته بوصفه إمام الأمة ووليها تواصلاً مع قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) "ألست أولى منكم بأنفسكم..." والمستند إلى قوله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} [الأحزاب:6].

أما الثاني: فهو (من تخلف لم يبلغ الفتح أو مبلغ الفتح) وللفتح دلالتان: الأولى الفتح العسكري أو النصر المادي: وهذا منفي بدلالة الجملة الأولى (من لحق بي استشهد)، ومن ثم فلا مناص من البحث عن معنى ودلالة أخرى (للفتح) هي أبعد من الفتح المادي.

وإذا ما نظرنا في الجملتين الشرطيتين نجد أن جواب الشرط متعلق بمآلين (الشهادة والفتح) وبما أن النتيجة الماديّة الأولى (الشهادة) نافية للنتيجة الماديّة الثانية (الفتح)؛ فلا مناص من النظر إلى النتيجتين وفق المنظور المعنوي، ومن ثم فإن الشهادة هنا تأتي بمقابل الفتح ظاهراً باعتبار أنهما جواب لفعلي الشرط الأول مثبت ونتيجته مثبته والثاني منفي ونتيجته منفية. لكنَّ النتيجة الثانية في الحقيقة أبعد أثراً من الأولى، وهذا ما يكن أنْ نستشفه من دلالة بعض الآيات الكريمة.

جاءت كلمة الفتح في بعض الآيات وفق دلالتها الماديّة أو الظاهريّة كما في قوله تعالى: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا} [الحديد : 10] والفتح هنا كما جاء في كتب التفسير وكما هو واضحٌ هو فتح مكة.

وجاء في آية أخرى قوله تعالى: {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [السجدة : 29] جواباً على سؤالهم: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [السجدة : 28] واختلف في تفسير الفتح هنا فمن قال أنه فتح مكة وهو أمرٌ يتنافى مع منطوق الآية، ومنهم من قال أنه بدر وفي هذا أيضاً منافات للمنطوق، ومنهم من قال إنه يوم القيامة، وعلى أيّة حال فإن للفتح في كلمة الإمام الحسين (ع) معاني ودلالاتٍ تختلف عمَّا جاء في تلك الأقوال، ومنها:

1 - إنَّ الفتح هنا قد يكون الدرجة الأسمى في سلم درجات الشهادة، بمعنى أنَّ من لم يلحق حتى لو استشهد في مناسبة أخرى لم يلحق بدرجة أصحاب الإمام. وهو ما نلمسه واقعاً من خلود أنصار الإمام في الدنيا ومكانتهم العظيمة في النفوس بالإضافة لمكانتهم في الآخرة التي هي في علم الله.

2 - إنَّ عدم بلوغ الفتح هو مرحلة ارتدادٍ عمَّا آمنوا به من أنه (أولى من المؤمنين بأنفسهم) وحينئذ (لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ).

3 - إنَّ الفتح كما جاء في منة المنان للسيد الشهيد محمد صادق الصدر "فتح العقل وإمكانيّة الفهم وتلقي العلوم، سواء كان ذلك من الظاهر أو من الباطن" ومن ثم فالمقصود بالفتح هنا أنكم لم تبلغوا مبلغ فهم الحق أو الإمامة أو الإيمان، ولن تبلغوه. لأنَّ النفي هنا قطعي. ولعلَّ هناك دلالاتٍ أخرى لمعنى الفتح في رسالة الإمام الحسين (ع) تحتاج إلى سبرٍ أعمق، وكشفٍ أكثر سعة واستشرافاً يضيق عنها المجال، وتبتعد بنا عن غاية المقال.

انتصار الحق على الباطل

إياد مهدي عباس

لم يكن الصراع بين الحق والباطل وليد اليوم والساعة، بل هو قديم قِدم وجود الإنسان على هذه البسيطة، وما زال هذا الصراع قائماً وسيبقي ما بقي الخير والشر في هذه الحياة ، إذ اتخذ هذا الصراع عبر تأريخه الطويل أشكالاً متعددة وصوراً مختلفة، ومن بين أبهى صوره وأكثرها تجلياً في أهدافها واستمرارية في عطائها، هي ثورة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام ضد طغيان وجور بني أمية، وضد استعبادهم للإنسان وانتهاكهم لحرمته، إذ تميزت هذه الثورة عن سواها من الثورات التي حدثت عبر مسيرة التاريخ الطويلة، بميزة الخلود لِعظم صاحبها وسمو أهدافها، على الرغم من أنها لم تنتصر عسكريا في ساحة المعركة بحسب قوانين الحروب، بل قُتل جميع رجالاتها بمن فيهم الأطفال الرضع الذين شهدوا هذه المعركة، لكنها سَجلت انتصاراً من نوع آخر، هو بقاؤها خالدة في نفوس الأحرار، لتصبح مناراً لهم ومنهاجاً لكل ثائر يبحث عن التحرر من قيود العبودية، فشكلت ثورة الحسين تحدياً بارزاً لكل مظاهر الظلم والاستبداد في كل زمان، فمنذ حدوث هذه الثورة وما أعقبها من أحداث إلى يومنا هذا، استلهم منها كثير من الشعوب قيم البطولة والتحدي في تغيير واقعها والانتصار على مظاهر الاستبداد فيه، ورغم المحاولات الكثيرة التي بُذلت من أجل طمس معالم هذه الثورة، والإعلام المُضلل الذي مارسه حكام بني أمية وبني العباس ومن جاء بعدهم من أجل تشويه أهدافها، ظلت ثورة الحسين صرخة مدوية بوجه الظالمين إلى يومنا هذا، ولِعظم هذه الثورة وأهميتها في مسيرة العطاء الإنساني، أحيطت بعناية إلهية خاصة، إذ جرى الإخبار عن أحداثها من قبل وحي الله إلى نبيه الأكرم قبل وقوعها بخمسين سنة، وهذه سابقة ليس لها نظير في التاريخ الإنساني، وذلك بسبب المكانة العظيمة التي حظي بها قائد هذه الثورة عند الله وعند رسوله، إذ روت لنا كتب السير والوقائع، أن النبي الخاتم (ص) قد أخبره الوحي عن طبيعة التضحيات التي سوف تكون في هذه الثورة، وأن ابنه هذا، وأشار إلى الحسين عليه السلام، سوف يُقتل فيها على أرض تسمى كربلاء قرباناً لإعلاء كلمة الحق وتصحيحاً لمسار الدين وتوجيه الأمة للعمل بشريعة جده المصطفى، بعد أن ماتت إرادتها وتقبلت العيش مع الظالمين ورضيت بالخنوع، حتى انحرفت عن نهج الرسالة القويم الذي رسمه لها النبي الأكرم، فجاءت هذه الثورة لإيقاظ الأمة من سُباتها الطويل. لذلك لم يحدثنا التأريخ عن إنموذج آخر مماثل على امتداد تجاربه في إطار الصراع الإنساني، كما حدثنا عن ثورة الطف وحجم التضحيات الكبيرة التي قدمها البيت النبوي الطاهر، بقيادة سبط النبي الحسين بن علي وأهل بيته، وثلة مخلصة من أصحابه الكرام، وذلك في العاشر من محرم الحرام من العام الحادي والستين للهجرة، فجاءت الأخبار عنها وعن قائدها ومكان حدوثها والأرض التي ستدور عليها رحاها، فهي ملحمة ذات طابع إلهي خاص، تحمل أهدافاً سامية اقتضت المشيئة الإلهية أن تُسفك فيها دماء طاهرة من بيت الرسالة والنبوة، كي تكون عِبرة وعَبرة لجميع الأجيال القادمة، وشاهداً على انتصار الدم على السيف وانتصار الحق على الباطل ، فكان إخبار النبي (ص) عنها لبعض أمهات المؤمنين من أزواجه وأصحابه الكرام، كي يُهيئ لهذه الثورة أسباب الخلود والديمومة، ويضفي عليها شرعية البقاء مهما طال الزمان، حتى تظل مشعلاً ينير دروب الثائرين، وصرخة مدوية ضد الاستعباد والفساد في كل مكان وزمان، لذا كانت الثورة الحسينية بمدلولاتها القيمية امتداداً لثورة الإصلاح المحمدية، ومنها تستمد زخمها الإنساني الخالد، فهنا يتجلى لنا سر قول النبي الأكرم: (حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا).

ومن المميزات الأخرى لثورة الحسين عليه السلام، تنوع الفئات العمرية التي شاركت في نصرة الإمام، فكانت تركيبة الجيش الحسيني خليطا من كهول وشباب وأطفال ونساء، وكان جلهم من أبناء الإمام وأبناء أخيه وعمومته وأبناء أُختـه، هذه الثلة المجاهدة والصابرة أصبحت في ما بعد نبراساً للأجيال القادمة، في التصدي للظلم والوقوف مع الحق ضد الباطل ورفض الطغيان مهما كان نوعه، ومن الشعوب التي اتخذت من ثورة الحسين شعارا لها ودثارا في نضالها هو الشعب العراقي، وذلك حينما تصدى أبناء العراق من شماله إلى جنوبه بشيبه وشبابه ونسائه للهجمة البربرية الشرسة لعصابات داعش، التي استهدفت العراق بمختلف مكوناته وأطيافه، فهو خير برهان على استلهام روح التضحية من ثورة أبي الأحرار الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس، في شحذ الهمم والأخذ بأسباب النصر، فكان شعار الأبطال المتصدين لداعش: هيهات منا الذلة، وهو شعار رفعه الإمام الحسين عليه السلام في قتاله ضد الجيش الأموي.

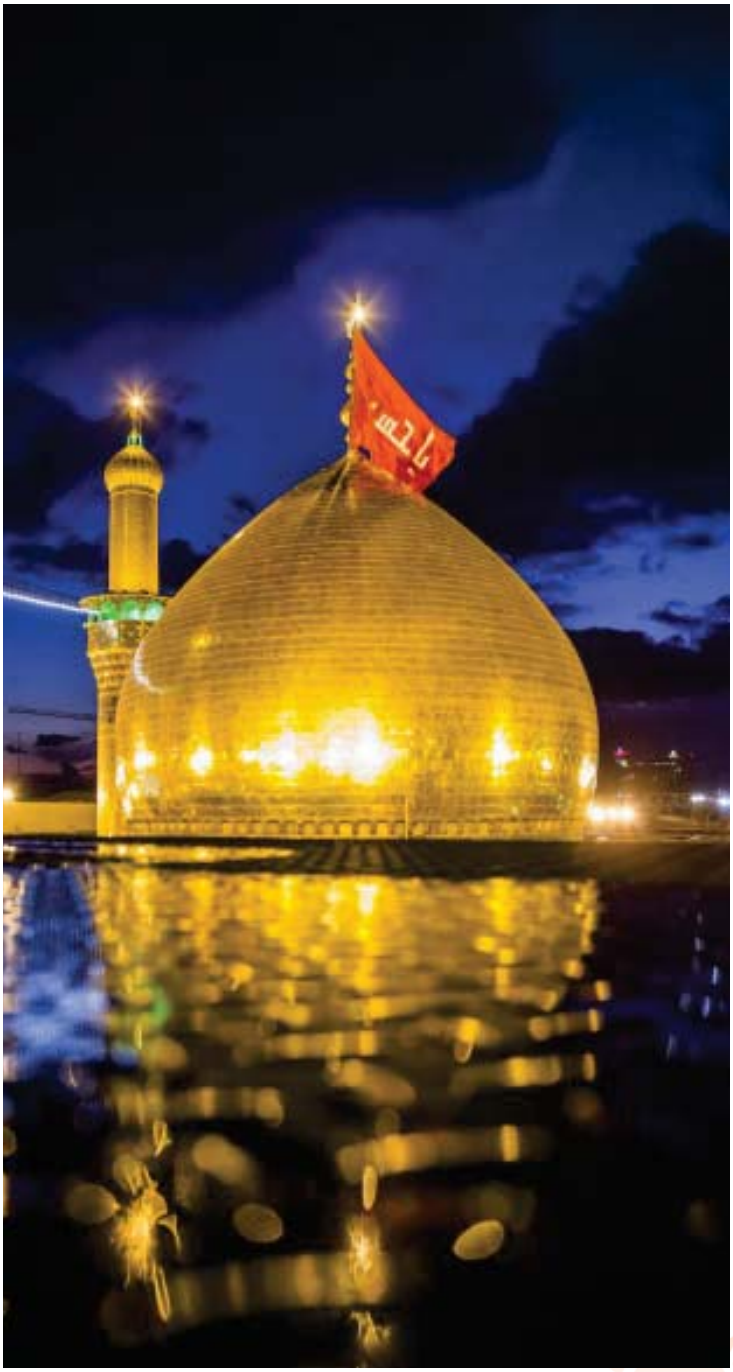

دروس عاشوراء

باسم محمد حبيب

طرح السيد مطهري في أحد كتبه، أن هناك ثلاثة أنواع من قتلة الحسين: النوع الأول - قتلته الفعليون، أي جيش يزيد بن معاوية وممثله على العراق عبيد الله بن زياد، والنوع الثاني - الذين قالوا إنه قتل بسيف جده، والنوع الثالث - الذين شوهوا صورته وفهموا ثورته بعكس ما هدفت أو سعت إليه، إذ أشار إلى أن النوع الثالث هم أشد الأنواع الثلاثة سوءا وأكثرهم إيذاء له، لأنهم يخاطبون التاريخ، ويقومون بنقل صورة مشوهة عن الواقعة إلى الأجيال التالية، من خلال ربطها بقصد أو من دون قصد بالصراع على السلطة وبالخلاف بين العائلتين الهاشمية والأموية، وهي رؤية أقل ما يقال عنها أنها سطحية، لأنها لا تنظر إلى العوامل الأكثر عمقا المسببة للواقعة، وعلى رأسها التعارض الواضح بين ممارسات السلطة وأفعال جيوشها وإداريها، ومبادئ الإسلام، فلا يمكن للإمام الحسين، وهو حفيد رسول الله، أن يتنكر لهذا التعارض الصارخ، لاسيما شبه الاستعباد الجماعي للشعوب التي جرى إخضاعها لسيطرة الدولة العربية الإسلامية، والتمييز بين العرب والموالي، وممارسة العنف المفرط ضد المعارضين، والاستغلال الاقتصادي للبلدان المفتوحة .. إلخ، فكان أمام الحسين أمران لا ثالث لهما: إما ضمان السلامة بالسكوت والقبول بما كان يحصل، وهذا ما يؤدي إلى إيصال صورة لم يرد لها أن تصل بتلك الشاكلة عن الإسلام، أو رفض ما يحصل من خلال مواجهة السلطة وأذنابها، واصفا الطرف الآخر بأوصاف أقل ما يقال عنها أنها نقيضة لصورة الإسلام التي يؤمن بها، إذ قال في إحدى خطبه: " تبا لكم يا شذاذ الآفاق ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الإثم ونفثة الشيطان ومطفئي السنن .. " كما وصف حركته بأنها حركة غايتها الإصلاح قائلا : "لم أخرج أشرا ولا بطرا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله "، لذا ليس غريبا أن تواجه حركته رفضا من قبل زعماء كثير من قبائل الفتح العربي الإسلامي، الذين رأوا فيها خطرا على نفوذهم وتهديدا لمصالحهم، ما جعلهم لا يتجاهلون دعوة الإمام الحسين لنصرته فقط، بل يقومون بالاشتراك في الجيش الذي خرج لمواجهته، وأكثر من ذلك الإسهام في قتله أيضا، كما واجه الإمام الحسين تخاذلا كبيرا من أبناء الصحابة، ومن كثير من أقربائه وأبناء عمومته، لأن الذين خرجوا معه منهم لا يشكلون إلا نسبة صغيرة منهم، وبالتأكيد لا يمكن ربط هذا التخاذل بالخشية من فقدان الامتيازات، والخوف من السلطة وسياستها في العنف والبطش بالمعارضين فقط، بل وفي عدم قبولهم بالرؤية الحسينية للإسلام، وهي رؤية عمادها رفض سياسة التمييز التي مارستها الدولة الأموية ضد المسلمين أو الخاضعين لنفوذها وسلطتها، ومساواة العرب وغير العرب في العطاء، فضلا عن أشكال الظلم الأخرى، وهكذا يمكننا أيضا تحديد من امتنعوا عن تلبية ندائه وتخاذلوا عن نصرته بثلاثة أنواع أيضا: الذين امتنعوا عن نصرته فعليا، والذين رأوا أن الإمام الحسين اجتهد فأصاب في مقابل من اجتهد وأخطأ، والذين لم يصلوا إلى ما أراده الحسين من ثورته، أو تركوا اللب واهتموا بالقشور، ومن هؤلاء من لم يسر على هدي الحسين أو يطبق ما أراده .

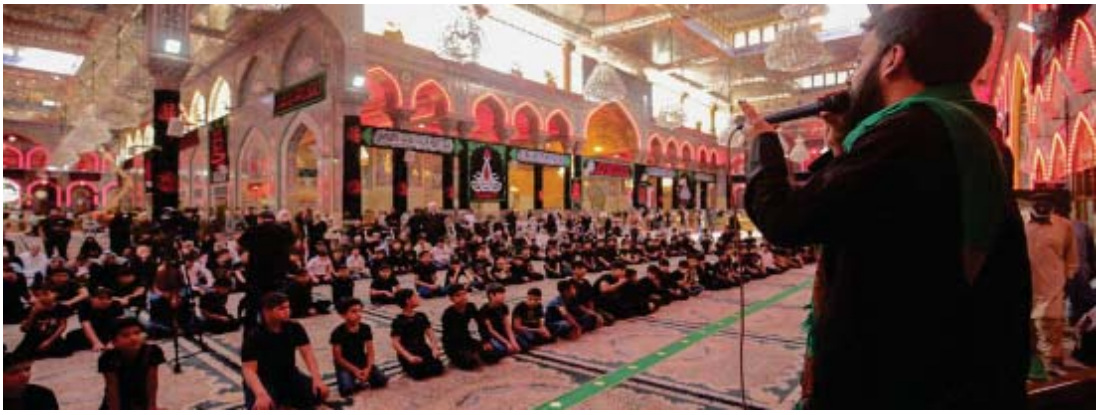

الحسين.. ثورة مستمرة

حسين علي الحمداني

حملت نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) في شهر محرم الحرام عام 61 هـ، رسائل عدة أولها عدم الاستكانة للظلم والتصدي له مهما كانت التضحيات، وهذا ما تجلى بوضوح في رفض الإمام (عليه السلام) البيعة ليزيد بن معاوية سواء في حياة معاوية بن أبي سفيان أو بعد موته. ورفض البيعة له أسبابه أولها نكث العهد المبرم بين معاوية والإمام الحسن (عليه السلام) من جهة، ومن جهة ثانية عدم أهلية يزيد لقيادة الأمة. وأيضاً رفض تكريس مبدأ الوراثة في الحكم والذي سارت عليه الدولة الأمويَّة وفي ما بعد الدولة العباسيَّة.

لهذا كانت نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) لها ما يبررها ويمنحها الشرعيَّة التي تجلت بوضوح في آلاف الرسائل التي وصلته وبايعته من جهة، ومن جهة ثانية استعداد بني أمية من الناحية العسكريَّة لقمع ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) عبر آلاف الجند القادمين من الشام ومن بقية الأمصار مضافاً لهم ما موجودٌ في العراق من موالين لهم وهو ما يؤكد أنَّ ما حصل في كربلاء لم يكن معركة بقدر ما أنها ثورة حسينيَّة شعبيَّة أرادت إحقاق الحق وحفظ الإسلام من العابثين به والمسيطرين على مقدرات الأمة والساعين لمصادرة حقوق المسلمين أينما كانوا ومحاولة فرض سياقات جديدة لا أساس شرعياً لها.

وهذا ما يجعلنا نقول إنَّ نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) لم تكن خاصة بزمنها فقط، بل هي ثورة ورسالة مستمرة لكل الأزمنة والأمكنة، أينما وجد الظلم وُجدت الثورة وهذا تزامنٌ تاريخيٌ بدأ بثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وظلَّ مستمراً عبر كل مراحل التاريخ الإنساني والشواهد على ذلك كثيرة جداً.

وبالتالي نجد أنَّ أكبر الرسائل التي حملتها ثورة الطف أنَّ التاريخ يكتبه الشهداء وحدهم وهم من ينتصر دمهم على سيوف قاتليهم، ها نحن ومنذ أكثر من ألف وأربعمئة سنة نعيش واقعة الطف بكل ما فيها من دروسٍ في التضحية والفداء ونستلهم منها مبادئ وقيماً حاولوا إخفاءها لكنها ظلت ساطعة في سماء الحرية.

إنَّ دماء الإمام عليه السلام وآل بيت الرسول (ص) وأصحاب الحسين (ع) كتبت تاريخاً مشرقاً للأمة الإسلامية وحفظت الدين الإسلامي فكانت ثورة تصحيح لا سلطة، وثورة حق على باطل، وصرخة ظلت مدوية حتى يومنا هذا، ونبراساً يقتدي به الثوار كلما وجدوا الظلم يقترب منهم ويحاول السيطرة عليهم بشتى الصور.

الطف.. واقعة كونيَّة

حسن الكعبي

تحاول بعض القراءات التي درست التاريخ الإسلامي وعملت على مقاربة مفاهيمه، أن تتحايل على بعض وقائعه الكبرى، وتحرفها عن مساراتها المشرقة, بإيجاد تأويلات تشكّك بالمفاهيم الإصلاحية التي تلتحق بها، ومن تلك الوقائع الكبرى (واقعة الطف)، التي تمثّل هذا النموذج الإصلاحي الكبير في المسار التاريخي لبناء دولة ترتكز إلى مفاهيم العدالة والحرية الإنسانية، أو ما اصطلح عليه في الأدبيات السياسية الحديثة بـ(الديمقراطية البيضاء)، لكن العمى الثقافي الذي يعاني منه الفكر العربي, لاسيما في الطبعات العلمانية المتطرفة، سيمنع من توجيه المجسات النقدية للتعامل مع واقعة الطف كدرس في تمثيل الديمقراطية العالمية، وأن تتعامل مع الإمام الحسين (ع) كـ(أنموذج) في صناعة الديمقراطية البيضاء التي لم تتلون ولم تنحرف عن أهدافها السامية في الإصلاح الديني والإنساني.

إن حركة الإصلاح في ثورة الإمام الحسين تتجلى ضمن المقولة الشهيرة: (لم أخرج أشرا ولا بطرا وإنما خرجت طلبا للإصلاح)، فهذه المقولة في تمثيلات الواقعة كانت البيان التعريفي في مشروع الواقعة الإصلاحي، وهي المقدمة الأساسية في صياغة مشروعها الأخلاقي والإنساني لخلق ديمقراطيتها البيضاء، بالنسبة لمن يقف على تفكيك وتشريح المقولة وانتزاع دلالاتها التي ستؤشر لهذا المنطق الإصلاحي، لبناء منظومة متكاملة في صياغة المفاهيم الأساسية في بناء الدولة العادلة .

إن مسارات الواقعة في سياق تمثيلاتها هذه، تدفع بالمقاربات النقدية والنظريات الفكرية إلى توجيه مجساتها نحوها بوصفها نموذجا لمشاريع التغيير السلمي أو الثورات السلمية الإصلاحية، لخلق ديمقراطية نظيفة خالية من التغول كطابع توسعي، أو التلون ضمن المساعي السياسية لتكييف المفهوم بحسب استراتيجيتها في التسويق القسري للمفهوم من بيئة إلى أخرى، على النحو الذي بدأنا نشهد تغاير تطبيقاته من دولة إلى أخرى إلى حدود التضاد والتناقض.

تأسيسا على ذلك، فإن واقعة الطف، تتسق في نشر مفاهيمها الإنسانية مع التوجهات العالمية الإنسانية التي تسعى إلى نشر المفاهيم الإنسانية التي تحتفي بالآخر، وتتجنب الفردانية والانغلاق بدعوى الخصوصية بمعناها الانكفائي، فلم يعد انتفاء خصوصيات المجتمعات بحاجة إلى جهد فكري لإثباته، مع الجهود الثقافية الما بعد حداثية التي لغمت التاريخ بأسئلة كبرى، وتمخضت جهودها عن أن كل فكر أصيل وعالمي هو بالضرورة فكر إنساني مشاع، وأن التشبث بالخصوصية يغاير بالضرورة التوجه الإنساني ويتجه نحو التوحش والفردانية، وهذا شأن الهويات المحلية التي تشتق لها رقعة معزولة في جغرافيا الكون الكبير، وهي هويات خاضعة للارتياب النقدي ومساءلاته الكاشفة عن الفبركة والاختراع والتلفيق ضمن هذه الهويات، مثال ذلك كيان داعش الذي يحاول أن يخترع له خصوصية إسلامية، في حين أن الإسلام هو رسالة عالمية تتجاوز الخصوصيات، وتلك المفارقة كشف عنها الناقد الكبير- عبد الله الغذامي- في حكاية الحداثة داخل السعودية .

إن الهويات المحلية، مهما بلغت من الذكاء في اختراع تاريخ لها، ستخفق في صناعة مستقبل لها، لأن الخصوصية تعني الانغلاق، وتعني عدم التفاعل والانفعال، وعدم التأثر والتأثير، وهذا بحد ذاته يدفع بالفكر إلى الانحلال والتحلل، وذلك ما يجعل من كيان داعش كيانا توحشيا ومغتربا في سلوكياته عن طابع التعاملات الإنسانية، وكما أن للهويات المحلية في هذا المسار مخاطرها وإشكالياتها، فإن للهويات العابرة للخصوصيات مخاطرها وإشكالياتها أيضا، في سياق ما أشرنا إليه في توشم وتلون المفاهيم العالمية الكبرى التي تسعى إلى نمذجة وتنميط المفاهيم، والتنميط يغاير الاختلاف والتعددية، وهو بالتالي مسعى نحو الانغلاق والفردانية، كما سادت في فكر الحداثة الغربي, ويبقى النموذج الأمثل في الصيغ والمفاهيم العالمية، هو النموذج التوسطي الذي أشرنا إليه في واقعة الطف ونشرها للمفاهيم الإنسانية، والذي شكلت رؤاه ستراتيجية في مشروع الإصلاح الديني والسياسي والإنساني بشكل عام .

فواقعة الطف في كل معانيها ومواقف الإمام الحسين (ع) فيها، كانت أظهرت جميع الحقوق المنتهكة من معسكر الظلم، وبالتالي فإنها أظهرت مظلوميتها، لأن إظهار الظلم يدخل ضمن التورية التي تظهر معنى وتحفز نقيضة، أي أنها عند إظهار المظلومية فإنها تظهر الطرف الظالم ضمنها، وفي هذا المعنى جرت ديمقراطية الواقعة التي صنعت رموزها العالمية، لكنها مع ذلك بقيت بعيدة عن دروس التناول الثقافي العربي في قراءة عالمية الفكر الإسلامي، في إطار صناعته لمفهوم التوسطية والاعتدال والتسامح الذي صنعته ثورة الإمام الحسين .

ملحق خاص يصدر عن جريدة الصباح بمناسبة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

عطاءٌ وتضحياتٌ خالدة

د. صادق كاظم

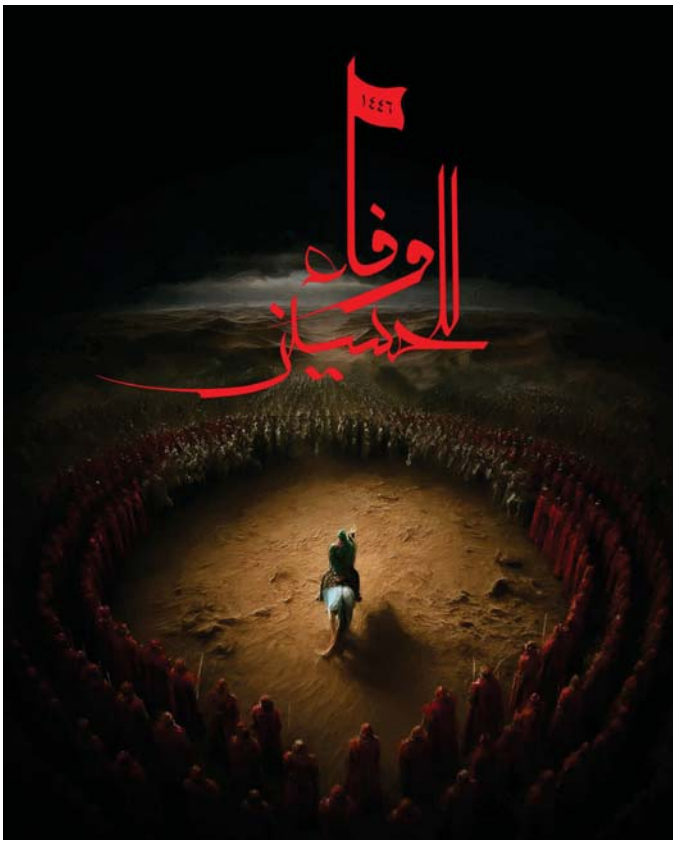

كانت الأوضاع التي مهَّدت لخروج الإمام الحسين (ع) الى الكوفة تستحقُّ أنْ يتصدى لها رجلٌ عظيمٌ كالإمام (ع) الذي كان المؤهـل فعلياً لإدارة دفة التغيير بعد أنْ أوصـد الطغـاة كل الآمـال والفـرص بإقامة نظامٍ عادلٍ بعيـدٍ عن مخلفات الجاهليَّة ورواسـبها وآثارها التـي حرص الطاغيـة يزيد على إعادتهـا وإحيائها من جديدٍ بعد أنْ عمل الإسـلام وخلال الحكم الراشدي على إلغائها وإعادة تشكيل الهويَّة الثقافيَّة والسياسيَّة للمسـلمين باتجاه ديموقراطي ثوري يقومُ على أسـس العدالة والمساواة والحريَّة.

كان الطاغيَّة يزيد يمثل اسـتمراراً للمدرسـة الجاهليَّة السابقة التي يمثل يزيد أحد أسلافها، حين عمل على ضرب الثوابت الإسلاميَّة التي كانت متداولة ومعروفة والمتمثلة بالحكم الشوروي وإجماع الأمة والانتخاب بحريَّة من دون ضغطٍ أو إكراهٍ، إذ اسـتبدلها بثوابت أخـرى تقوم علـى البيعة بالإكـراه وبالسـيف والقوة وانتزاع الشـرعيَّة في الحكم بالتآمر واغتصاب الخلافة وشراء الذمم بالرشـاوى والأموال وغيرها، الأمر الذي أثار نقمة الأمة الإسلاميَّة التي وجدت في يزيد وأعوانه طغمة انتهازيَّة تحاول إعادة الأمة الى العصر الجاهلي ونسف قواعد الدين الإسلامي المحمدي الأصيل.

اسـتبق الإمام الحسـين (ع) الأحـداث فقرر إحداث التغيير وطلـبَ من القواعـد الشـعبيَّة والجماهيريَّة المؤمنـة بخطه الرسـالي النبوي التهيؤ والاسـتعداد لمعركـة التغييـر، حيـث كانـت الكوفـة المعقـل الرئيس المؤثـر والمهم ومركز الثقل للثـورة والقاعدة الجماهيريَّة والخزان البشـري لها وهو تصرفٌ منطقيٌّ وصحيحٌ من قبل الإمـام الذي كان عازماً على التغيير ولم يكن هناك أي حلٍ آخر أمامه.

إنَّ الروايـات التـي تتحدث عـن تجاهـل الإمام (ع) للنصائـح التي قدمت له بتجنـب الكوفة؛ لأنَّ هناك فخاً قاتلاً بانتظاره ودعوتـه للبقاء في مكة أو الذهاب الى جبـال اليمن هي في الواقع رواياتٌ مزيفة وكتبت مـن قبل أجهـزة الإعلام العباسـيَّة التـي كانت تكنُّ العداء للعلويين وتحاول تشـويه صورتهم وهي حالها حال روايـة معقل التي تتحدث عن جاسـوسٍ وهمي اختـرق صفوف الثوار بسـذاجة واضحـة وتمكن من كشف أسـرارهم وتنظيماتهم وقادتهم ونقلها الى والي الكوفة عبيد الله بن زياد الذي تمكن لاحقاً من قتلهم وإبادتهم.

إنَّ الإمـام الحسـين (ع) حينمـا قصـد الذهاب الى العراق إنما كانـت تحركاته بناءً على معطياتٍ ووقائع وأحـداثٍ كانت تشـجع علـى ذلك، لكـنَّ الارتباك الذي حصل في صفـوف الثوار ومجيء قواتٍ ضخمة من الشـام الـى الكوفة بوقتٍ مناسـبٍ مكنهـا وبناءً على معلوماتٍ اسـتخباريَّة من السـيطرة على الكوفة وإبعـاد الثوار عنها وقطع جميع خطوط الإمداد بينها وبين الإمام الحسين (ع) ضمن رؤية وتفسيرات تؤكد حصول مناوشـات وعمليات قتـالٍ متقطعة قبل يوم العاشـر من محرم بين الثـوار والجيش الأموي الذي حشـد قـواتٍ ضخمـة مدعوماً بقـوات مـن المرتزقة المأجوريـن بلغ عددها 25 ألف جنـدي والذي ليس من المعقول والمنطقي أنَّها جاءت لقتال أكثر من 70 رجلاً فقط وهي الروايات التـي يصرُّ بعض المؤرخين علـى تدوينهـا فـي كتبهم مـن دون التمعـن فيها أو التحقق منها.

لقد جسـد الإمام الحسـين (ع) أعلى معاني البطولة والشـجاعة، إذ لم تنل الحشود الضخمة التي جاءت لقتلـه مع أهـل بيته مـن عزيمته وإرادتـه ولم يقبل التنـازل والخضـوع لإرادة يزيد وعصابتـه الإجراميَّة الحاكمة، بل قدم أسـمى معاني الفروسـيَّة والبطولة والشـرف، حين واجـه تلك الجيـوش الضخمة التي انتهت من قتال أنصاره قبلها بأيام بمفرده وأصرَّ على قتالهـا بعزمٍ وإباءٍ علوي محمدي حتى استشـهد عليه السلام في ميدان المعركة بطلاً شجاعاً أبيَّاً.

لـم يهنأ يزيد بنصره المزيف المؤقت، بل كانت ثورة الإمـام الحسـين ومصرعه يـوم الطف بدايـة النهاية لحكـم يزيد وزواله، إذ انفجـرت الثورات ضده وضد طواغيتـه في مختلـف أرجاء العالم الإسـلامي والتي بقيت مسـتمرة حتى سـقوط نظـام الحكـم الأموي بأكمله وزواله في سنواتٍ معدودة بعد ذلك.

إنَّ ثـورة الإمـام الحسـين (ع) إنَّما حصلـت لدوافع ثوريَّـة من أجل إقامـة نظام العدل الإلهـي والحريَّة لجميـع أبناء العالـم الإسـلامي، إذ كان الإمام (ع) القائد المؤهل لإقامتهـا وتحقيقها والتي أعطت للأمة الإسـلاميَّة أبلغ معاني الشـموخ والإباء في كيفيَّة أنَّ مبـادئ الحـق والعـدل والشـرف يمكنهـا الانتصار علـى الطغيان والظلـم والجبروت مهمـا كانت قوته وإمكانيتـه؛ لأنَّ الحـق والعدل فـي النهاية هما من ينتصران.

ملحق خاص يصدر عن جريدة الصباح بمناسبة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

مشروع الإصلاح الحسيني

عباس الصباغ

الانحرافات الكبيرة والمشاريع التضحويَّة الاستراتيجيَّة تحتـاجُ الى مُصْلِحين كبارٍ وعظامٍ مـن العيار الثقيل؛ أي مـن طـراز الحسـين (ع)، وأي مشـروعٍ هـو أهم مـن مشـروع تصحيـح الانحـراف الكبيـر والاعوجاج الاسـتراتيجي الـذي اعتور أمـة جـده العظيم (ص)؟ وضياع الجهود الكبيرة والإنجازات المهمَّة والتضحيات العملاقـة التي بذلها الرسـول وصحابته الكـرام ابتداءً من الهجرة الشريفة وتأسـيس الدولة الإسلاميَّة الفتيَّة وانتهـاءً بسـقوطه صريعاً علـى صعيد كربـلاء والذي كان هو الميدان العملي لمشـروع التضحية الذي عمّد بالدماء الطاهـرة وبتقديم القرابين العزيـزة من الأبناء والأهل من بني هاشم والأصحاب المخلصين الأكارم، فيتحقق المشـروع الجهادي الشمولي ليس بالشعارات الرنانـة والخطـب الجوفـاء والوعود التـي لا تتحقق، ليترجم شعاره الذي أعلنه من البداية للجميع وبوضوحٍ وبصراحة متناهية ببرنامجه الذي أعلنه الى أخيه محمد ابن الحنفيَّة (وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالمـاً، وإنّما خرجت لطلب النجـاح والصلاح في أُمّة جدّي محمّد، أُريد أنْ آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فمـن قبلني بقبـول الحق فالله أولى بالحـق، ومن رَدَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خيـرُ الحاكمين) ليحوّل برنامجـه الإصلاحي الى واقـعٍ عملي ملمـوسٍ وفي جميع ميادين الحياة كونه إمامـاً مفترض الطاعـة لجميع أمة جـده الكريم، ولم يشتمل مشـروع الإصلاح الحسيني الشـمولي على أيّة جنبة سياسـيَّة أو طموح سياسـي في السـلطة سـوى تحقيـق العـدل والحياة الكريمـة واللائقة بالإنسـان ونبـذ التمييز العنصري حسـب مبـدأ (يَا أَيُّهَـا النَّاسُ إِنَّـا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) وحسـب نظريَّة الرسول الأكرم (أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِـيٍّ وَلَا لِعَجَمِـيٍّ عَلَى عَرَبِـيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْـوَدَ وَلَا أَسْـوَدَ عَلَى أَحْمَـرَ إِلَّا بِالتَّقْـوَى)، التنوع الجندري والاجتماعـي والإثني عماد مشـروعي الإصلاحي بدون تفريقٍ بين جنسٍ عن جنسٍ آخر او مسـتوى اجتماعي عن مسـتوى آخر أو سـنّ عن آخر ولهذا كان الإنسان وسيلته وغايته.

لـذا لا يجب القبول بمبدأ أنَّ ثورة الحسـين هي الثورة التـي قامـت ضمن ثنائيَّـة الحاكم/المحكـوم بعد أنْ استحالت بلاد الله العريضة الى بستان قريش والعباد الذيـن أكرمهم الله الى عبيدٍ والخليفة الى سـلطان الله فـي الأرض وهـو مؤتمنٌ علـى الرعيَّـة ، إذنْ لا بُدَّ من إعلان الثورة وإطلاق مشـروع الإصلاح الشـامل ليس كـرد فعلٍ شـخصي علـى المظالم وليس ضـد الحاكم الجائر والسلطة الفاسدة فحسب، بل كان مشروع ثورة الحسين الإصلاحي الشمولي والاستراتيجي ضد مشروع ظلامـي أُريدَ منه إرجاع الأمة (أمة محمد) الى الجاهليَّة الأولى بعد أنْ خلّصهم الإسـلام منها وصاروا (خير أمة أُخْرِجـت للناس) بجهود النبـي (ص) وصحابته الكرام تلك الجهود التي صادرها الحكم الأموي (التحاصصي) الجائر وتولية غير المناسب في المكان المناسب، بل كان المشروع الحسيني الإصلاحي هو السعي من أجل تحقيق الإصلاح الشـامل في الأمة، وليس تحقيق أيّة مصالح شـخصيَّة أو فرديَّة أو حتى مزاجيَّة، أو السـعي من أجل تسلم السلطة كما يشاع.

إنّ الإمـام الشـهيد (عليـه السـلام) نهـض مـن أجل الإصـلاح وإعادة أمـور الدين إلـى نصابهـا كما كانت في عهد الرسـول العظيم والخلفاء الراشـدين في صدر الإسلام.

القضيَّة ليسـت موقفاً شـخصياً ذاتيـاً، إنَّما هي قضيَّة إنسـانيَّة شـموليَّة تتعلقُ بالحفاظ على مصلحة الأُمّة، فلم يكن الحسين (عليه السلام) ثائراً يتمرَّد على الذل من موقع إحساسـه الذاتي بالكرامة، أو التزامه العائلي بالعزّة، ولم يكن إنسـاناً متمرّداً على الواقع في المزاج التمرّدي الذي يرفض الأوضاع الخاصّة التي لا تنسـجم مع مزاجه، بل كانت ثورته من أجل وضع النقاط على الحروف، وقد وضعها عليه السلام باستشهاده المدوي الذي بقي صداه يتردّدُ الى الآن والى ما شاء الله.

ملحق خاص يصدر عن جريدة الصباح بمناسبة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

ثورة الحسين في ضمير أهالي غزة

عبدالله حميد العتابي

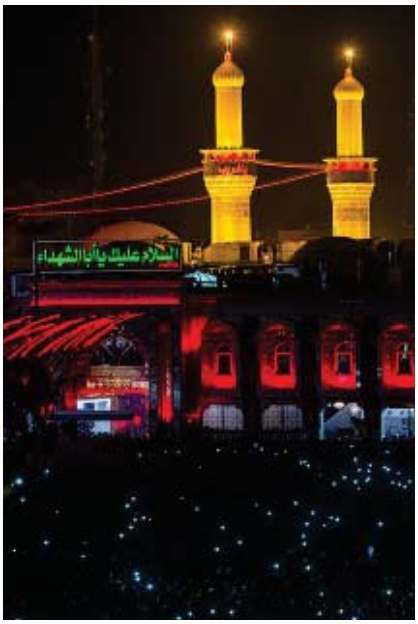

لا أجانب الحقيقة إذا ما قلت إنَّ ثورة الإمام الحسين "ع" هي ثورة إنسانيَّة كبرى بكل أبعادها، حدثت في عصرٍ معينٍ لكنَّ إشعاعاتها وقيمها ومثلها ومحتواها الإنساني الكبير تشعُّ على كل الأمم ما دام الجور والطغيان يسودان العالم. والحق فإنّ استحضار قيم تلك الثورة الخالدة في ضمائر الأحرار في كل لحظة من لحظات هذا الزمن الذي تجبَّر فيه الطغاة وازدادوا عتواً كبيراً وتمادوا في غطرستهم وعنجهيتهم وظلمهم لشعوبهم. وحين نستحضر قيم تلك الثورة الخالدة وأهدافها لننهل من نبعها الصافي ودفقها المتجدد تزداد ثقة وعزيمة بقدرة كل من سلب حقه وامتهنت كرامته وصودرت آماله ووضع نصب عينيه ثورة الإمام الحسين لانتزاع حقه المهدور لأنه لا بُدَّ أنْ يقول للدكتاتور قف عند حدك لأنَّ ساعة الحريَّة قادمة بلا تأخير.

لقد فجر الإمام الحسين عليه السلام ثورته الكبرى ودكَّ حصونَ الظلمِ وقلاعَ الجور. ولا أبالغ بالقول تعدُّ ملحمة كربلاء من أهم الأحداث العالميَّة، بل من أهم ما حققته البشريَّة من إنجازاتٍ رائعة في ميادين الكفاح المسلح ضد الظلم والطغيان فقد غيرت مجرى تاريخ الشعوب الإسلاميَّة وفتحت لها آفاقاً مشرقة للثورة على الدكتاتوريَّة.

لقد ألهمت هذه الملحمة الخالدة عواطف الأحرار في سبيل تحرير المجتمع من نير العبوديَّة والذل وإنقاذه من الحكم غير الشرعي. إنَّ ثورة الإمام الحسين لم تكن ثورة انفعاليَّة ولا حركة عشوائيَّة ينقصها الوضوح في الرؤية أو القصور عن تحديد الغايات والأهداف بل كانت ثورة واعية لها رؤيتها الواضحة وأهدافها المحددة والتي كشف عنها مفجّرها في أول بيانٍ من بياناته المتعلقة بها وذلك حين جلجل في صوته النابض بالحريَّة "إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدي، أريد أنْ آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين).

وما أشبه اليوم بالأمس وبعد أربعة عشر قرناً من الثورة الحسينيَّة الخالدة وما لحق بها من أذى وظلم وإرهاب نعيشه هذه الأيام في ظل هجمة إرهابيَّة دمويَّة استهدفت الشعب الفلسطيني من قبل الكيان الصهيوني وما نراه ونلمسه من تهرب ونكوص عربي وإسلامي لدعم هذا الشعب الثائر من طغيان الكيان الصهيوني وتهرب الشعوب العربيَّة والإسلاميَّة من دعم تصدي الشعب الفلسطيني في غزة لقوات الكيان الصهيوني وما يحصل له من مجازر دمويَّة لهو تعبيرٌ حقيقيٌ عن تكرار التاريخ نفسه فثورة غزة هم امتدادٌ لثورة الحسين وأسرته ورفاقه الذين ضحوا بدمائهم الزكيَّة لتبقى الثورة الحسينيَّة خالدة في ضمائر الشعوب. إنَّ الدفاع الأسطوري لشعب غزة وصموده منذ أكثر من تسعة أشهر مستلهماً من ثورة الحسين معانيها الخالدة سيبقى دليلاً على عظم ثورة الحسين.

عاشوراء.. كلمة حقٍ ومنهج

عصام كاظم جري

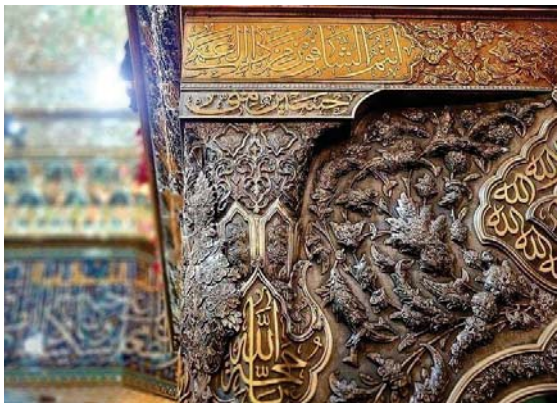

منذ الأوّل من شهر محرم وفي كل عام تحيي الطائفة الشيعيَّة في جميع أنحاء العالم وعلى مدار أربعين يوماً ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، في معركة الطف على يد طواغيت السلطة والفساد والاستبداد.

وتعدُّ هذه الذكرى أيامَ شهادة وتضحية وفداء، إذ تشهد الهند وباكستان وإيران ولبنان والكويت والبحرين والسعوديَّة، فضلاً عن دولٍ أخرى حول العالم فعالياتٍ ضخمة لإحياء يوم ذكرى عاشوراء.

وحقيقة ليس هناك أي رابطٍ بين الطقوس والشعائر التي غرفت باسم "الشعائر الحسينيَّة"، وبين قضيَّة استشهاد أبي الأحرار عليه السلام، إذ يؤدي بعض الشيعة عروضاً تمثيليَّة ومسرحيات عزاءٍ في الشوارع والحدائق والميادين العامَّة، نعم لا نختلف بأنَّ هذه العروض تجسدُ ما وقع من مصائب في معركة الطف، وما جرى فيها من قتلٍ وحرقٍ وسبيٍ لبيت النبوة، ولكن موضوع الإمام الحسين وأصحاب الحسين أكبر وأعظم من كل ما نراه اليوم من شعائر كالتّطبير واستعمال السيوف والجمال وجلد الظهور بالسلاسل الحديديَّة "الزنجيل"، أو شعائر المشي على الجمر، استذكاراً لحرق الخيام في واقعة الطف أو التّطبين.

وأرى توافد الزوار من داخل وخارج العراق لإحياء يوم عاشوراء في مدينة كربلاء، والاستماع لبعض المحاضرات والقصائد الحزينة المغنّاة التي تشيد بمآثر أبي عبدالله وتستذكر واقعة الطف أمراً مستحباً ومستحسناً.

مهما نقول عن الحسين، ومهما نكتب، فلن نصل فيه إلى ما قاله رسول الله "ص": "مكتوب على ساق العرش إنَّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة"، الحسين سيد الثائرين، إذ ارتفع هتافه إلى أبواب السماوات ضد حكم الطغاة والفاسدين، عاشوراء ليست حادثة من حوادث الدهر العابرة، وإنَّما منعطفٌ كونيٌ، مع الحق كل هزيمة نصرٌ وبالباطل كل انتصار حرامٌ، هذا هو ميزان السماوات،

وما زالت رواية عاشوراء لم تكتمل فصولها، ففي كل بقعة أرض ثمّة ظلمٌ، وفي كل يوم قتل وحرق وتهجير للإنسانيَّة.

نعم القضيَّة الحسينيَّة مبنيَّة على أسسٍ عقلانيَّة ومنطقيَّة، لذا انتصر المنطق انتصاراً تاريخياً على شهوات المنافع والمكاسب الدنيويَّة الزائلة، سيد الشهداء في واقعة كربلاء صانع مواقف وقالوا في هذه الصناعة:

"ما فعله الحسين وأصحابه صعباً عليهم أن يقاتلوا أو يقتلوا.. ولكنهم لو لم يفعلوا ما صنعوا، لكان عليهم أصعب".

إذنْ القضيَّة ليست شخصيَّة، بل هي مشروعٌ، وليست مشروع أسرة أو قبيلة، وإنما منهج، وليست شعاراً بل موقف.

الكلمات غير كافية بغية أنْ تعبّرَ عن موقف الحسين، فهو صوت الحق وروح الفضيلة.

هابتوس الحزن في الراسب الثقافي العراقي

د.يحيى حسين زامل

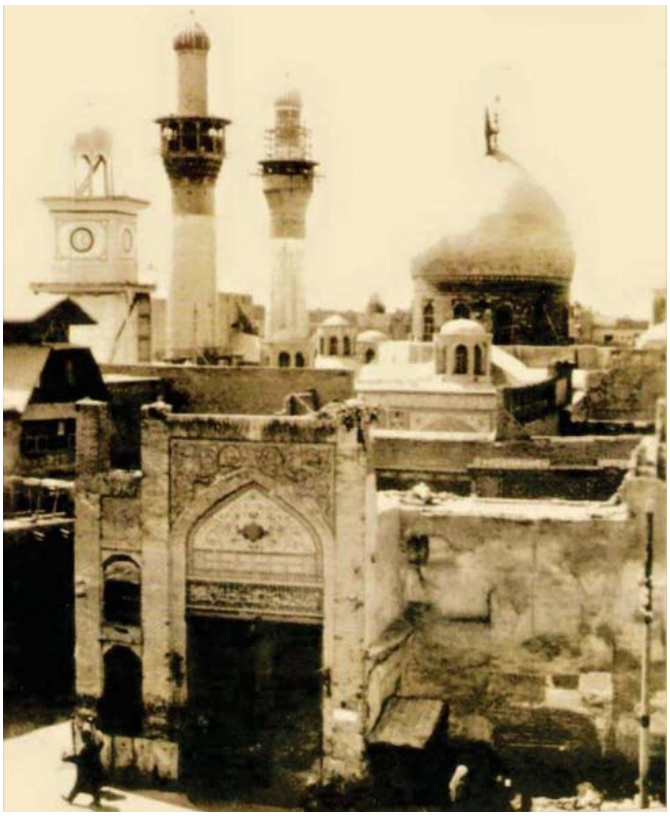

الهابتـوس في "القامـوس الأنثروبولوجـي الحديث" كلمة يونانيَّـة تعنـي عنـد "افلاطـون" طريقة في الوجـود التي يصعـب تعديلها أو تحويلها، واسـتعملها "توما الاكويني" و"مارسـيل موس" بمعنى العـادة واسـتعملها "دوركايم" بمعنى الطبع (القاموس 605). و"الهابتوس" عند "بورديو" مجموعة المهارات والمـوارد الاجتماعيَّة التي تحكم كيفيَّة تفاعـل الناس مع العالم. ويتشـكل "الهابتـوس" تاريخيًا واجتماعيًا من خلال التنشـئة الاجتماعيَّـة، وعبر التعلم مـن المجتمـع المحلـي والمدرسـة والأسـرة، وكل هـذه الوسـائل والآليات هي المسؤولة عن صوغه في أي ثقافة، لذلك تُوصـف بعض الثقافـات بطابع الحـزن أو المرح أو الفهلـوة ، أو الكرم، أو يقال إنَّ ثقافته تقليديَّة أو حديثة أو متأثرة بالثقافة الإسلاميَّة، كما في بعض الشعوب العربيَّة. والراسـب الثقافـي هو العنصـر -ظاهرة أو مركـب ثقافي- الذي تغيـرت وظيفته الأصليَّة بمرور الأيام وأصبح مجرداً، إما بسـبب طول المدة أو تغيـر الوظيفة، لم يتطور بنفس السـرعة التي تطورت بها الثقافة ككل. فأصبح غير متلائمٍ مع الثقافة السـائدة ولا يمتلك القدرة على مسـايرة الحياة الجديدة، فظلَّ راسـبًا في قاع الثقافة يجهـل أكثرنا جذره أو مصـدره ومعنـاه الحقيقي. لذلك فإنَّ هنـاك الكثير من الظواهـر والعناصـر الثقافيَّة والمركبات المسـتعملة اليوم يجهـل أصلهـا أو سـبب وجودهـا، ولكنها علـى أي حال موجودة وباقية ومتداولة، والسـبب في ذلك الغموض أنَّ وظيفتها السابقة اختفت، وأصبح لها وظيفة أخرى بسبب تطور الأحداث وتعقد الحياة.

لقد ارتبط مصطلح "الراسب الثقافي" بالنظريَّة التطوريَّة، ولكنه أنْتقد بشـدة من قبـل "المدرسـة الوظيفيَّة"، التي تؤكـد على وظائـف العناصـر والمركبـات الثقافيَّة، لذلك يرى رائد الوظيفيَّة "برنسـلاو مالينوفسـكي": (أنَّه لا وجود لعنصـر ثقافي لا أهميَّة له، فجميع العناصر الثقافيَّة تؤدي مـع بعضهـا الآخر وظيفة فـي البناء الثقافـي). والحال أنَّ مشـتغلي هذا المصطلح لا ينفون أهميَّـة العناصر الثقافيَّة فـي أي مجتمـعٍ أو ثقافة، ولكنهم يـرون أنه مختفٍ تحت عنصرٍ آخر، وتحولت وظيفته إلى وظيفة أخرى.

ومن الرواسـب الثقافيَّة في المجتمـع العراقي طابع الحزن أو ثقافة الحزن السـائدة في الحياة والفن والأدب والغناء، فتجـد الحـدث الحزيـن هـو الأبـرز والثابت فـي الذاكرة العراقيَّـة، والنـص الشـعري الحزين هو الـذي يطرب له المسـتمع، ويذوب فيـه، ويحفظه ويكتبه علـى كتابه أو مذكراتـه أو سـيارته، والأغنيَّـة الحزينـة هي التي تسـتمر مـدة أطول في الذاكـرة وتؤثر فيها، وربمـا تجدها منحوته ومنقوشـة في مدونته وسردياته الثقافيَّة، التي ترسخت في العمق الثقافي والاجتماعي.

وحتى فـي تلاوة القـرآن الكريم هنـاك الطريقـة العراقيَّة الحزينة، الطريقة التي ابتدأت بحسب بعضهم منذ العصر العباسـي عندما أصبحت بغداد ومدارسها قبلة للعالمين، فاشتهرت مدرسة بغداد وواسط والموصل متأثرة بالمحيط الاجتماعي والثقافي. وقـد وصف الرحالة "ابن جبير" تلك المجالس الشـهيرة أثناء زيارته لبغداد، لا سيَّما في مجلس "ابن الجوزي": "إذ يبتدئ القراء وعددهم أكثر من عشرين قارئًا إلى قراءة القرآن بالتناوب، بنسقٍ وتطريبٍ وتشويق. ويصف مجلس اخر: "فابتدروا القراءة على الترتيب وشوقوا ما شـاؤوا، واطربـوا مـا أرادوا، وبادرت العيون بإرسـال الدمـوع. ولذلـك عُرفـت التـلاوة العراقيَّة دائمـا بالحزن والشجن العراقي السرمدي.

ولا شـك أن هابتـوس الحـزن الأكبـر كان فـي المجالس والرثاء على الإمام الحسـين (ع) في يوم عاشـوراء من كل عـام، ومما يروى عن الإمام "جعفـر الصادق" حين دخل عليه "ابو هارون المكفوف"، فطلب منه الإمام أنْ ينشـده فـي رثاء الإمام الحسـين (ع) بقوله: أنشـدني فأنشـدته، فقال: لا، كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره، (أي بالطريقة العراقيَّـة)، قـال: فأنشـدته: أمـرر على جدث الحسـين * فقـل لاعظمه الزكيَّة. قال: فلما بكى أمسـكت، فقال: مر، فمررت، ثم قال: زدني زدني، قال: فأنشدته: يا مريم قومي فاندبي مولاك * وعلى الحسـين فاسـعدي ببـكاك، قال: فبكى، وبكى كذلك أهل بيته. وهكذا كان تأثير المدرسة أو الطريقة أو البيئة العراقيَّة في العديد من الآداب والفنون، فكيف بفن الرثاء وهو قمة في الحزن والشجن.

ويرجـع الباحـث فاضل الربيعي تفسـير هابتـوس الحزن هـذا فـي كتابه (المناحـة العظيمة) إلى زمـنٍ قديمٍ جداً، ومتجـذر فـي الثقافة العراقيَّـة القديمة، حينمـا كان يرثي العراقيون الإله تموز السـومري/ البابلي، وعشيقته عشتار في المعابد وفي الطرقات على شـكل مواكب، واسـتمرت تلـك المناحـات في كل عام من شـهر تمـوز، كما وصف "هيـرودت" ذلك حين زار مملكة بابل. وكذلك الحزن على صلب المسـيح والمناحـة والبكاء عليه، ولاحقـاً المناحة على الإمام الحسين في عاشوراء من كل عام.

إنَّ طقوس النواح هذه، لا تزال مستمرة في الراسب الثقافي طوال عصورٍ وعصـورٍ حتى مع تغيّـر موضوعاتها، وتبدل صور أبطالها وضحاياها. كما تعطي في السياق ذاته، فكرة أخـرى أقل عموميَّة عـن الطرائق والأشـكال التي تبلورت فيها المناحة الجماعيَّة في عصر الإسـلام، وذلك مع وقوع حادثة الاستشهاد البطولي للإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عـام 61 هجريَّـة. أي بعد ما يزيد على عشـرة قرون من زيارة هيرودوت لبابل ومصر. (ص 38)، وإنَّ العراقيين المعاصرين، هـم أحفاد ثقافيون للسـومريين والبابليين والآشـوريين، حتـى وإنْ تباعـدت أصولهـم وجذورهـم وسلالاتهم القبليَّة والأسريَّة، لأنهم يشتركون مع أجدادهم .مـع اختلاف العقيـدة والدين .في مناحـة واحدة عظيمة مسـتمرة، تتجلى فيها واقعة كربـلاء، كما لو أنها هي ذاتها مناحة البابليين على تموز (ص 20).

كما أنَّ السـبب الجوهـري لتمَيز الغنـاء العراقي بنزعته الحزينـة، لا صلة له بوقـوع مآسٍ وأحـداثٍ مفجعة في التاريخ الاجتماعي والسياسي، وإنما بوجود تقاليد أدبيَّة مستمرة ومتواصلة، استمدت قوة زخمها من هذه الثقافة الدينيَّـة. والغريـب أنَّ الكثيـر من الألحان الموسـيقيَّة التـي يعتمدها المغنون العراقيون اليـوم، ذات إيقاعات مسـتمدة من إيقاعـات المناحة على الحسـين، أي أنها تنتمي إلى تقاليد الغناء الديني الحزين في الريف والبادية على حد سـواء، ليس مرّده وجود أحداثٍ واقعيَّة مفجعة بالضرورة، ألمّت بالسكان ودفعت المغنين والمنشدين إلـى اسـتذكارها بألـمٍ وحزنٍ، إنما هـو اسـتمرارٌ لتقاليد أدبيَّة بكائيَّة راسـبة في الوجدان الشعبي (ص18). ويعدُّ الباحث الدكتور فاضل سوداني في مقاله (عذابات تموز) أن موت وقيامـة الإله (تموز) أحد الطقـوس التراجيديَّة المهمة بسماته الاسطوريَّة والطقوسـيَّة والفلسفيَّة، فهو الحزين التراجيدي في روح إنسـان وادي الرافدين. ويعدّ كل هذا حتى الآن من أرقى وأغنى ما كتب في مثيولوجيا شعوب وادي الرافدين.

وعلـى وفق هذا التفسـير، وبصـرف النظر عـن صحته بشـكل كلي وتطابقه مـع الواقع، نكون قـد توصلنا إلى خيـوط أو جذور هذا الحزن فـي الثقافة العراقيَّة، أو على الأقل لمسنا بعضاً من تلك الاستنتاجات التي نرتجي فيها الحقيقة.

الدروس المستفادة من ثورة الحسين

وجدان عبدالعزيز

قد نقف في حيرة حين دراسة شخصيّة الإمام الحسين، لاسيما وهو قاد معركة غير متكافئة من ناحية العدّة والعدد، فجنده كانوا يُعدون بالعشرات أمام جيش يُعدّ بالآلاف، ناهيك عن العُدة، وفي أرض لم تكن قريبة من الناحية النفسية لجيشه، هذه معطيات تؤشر لغلبة جيش العدو، لكنَّ شخصية الحسين المؤثرة بين أفراد جيشه، كانت لها القدرة على احتواء أنفسهم وتوجيهها، نحو الثبات والبسالة في الصمود، فهو يمتلك العديد من السمات والخصائص الفاعلة والمثيرة للاهتمام، والحضور الشعبي الذي يتمتَّع به الحسين عليه السلام، وقدرته على التأثير في الآخرين إيجابيًا، وعاطفيًا، وثقافيًا،

وكان يتمتـع بقدرات قيادية مميزة، كما أنَّ لديه القدرة علـى الإقنـاع، ونقـل المعلومـة للآخريـن بكل يسـر وسهولة، كما أنَّ لديه القدرة على التحاور مع الآخرين، وجذب انتباههم وإقناعهم بالأفكار والأهداف والخطط، كما أنَّ لديه القدرة علـى التفاعل مع المجتمع بمختلف شـرائحه ومكوّناتـه، وهـذا التفاعـل يسـهم فـي دفع الآخرين للمتابعـة، بل وفي بعض الأحيـان الاقتداء، لأنَّ الحسين عليه السلام يتَّصف بقوة التفكير والبصيرة والقـدرة على الإقناع، والمبادرة والشـجاعة فـي اتِّخاذ القـرارات اللازمـة في الأوقـات المناسـبة، والتأكُّد من تطبيقها، لماذا كان الحسـين عليه السلام هكذا؟ أولا: لأنـه وُلد في بيـت هو مهبط التنزيل، فـي بقعة طاهرة تتصل بالسماء، وترعرع بين شخصيّات مقدّسة تجلّلت بآيات الله، ونهل من نمير الرسـالة عـذب الارتباط مع الخالـق، وصـاغ لبنات شـخصيته نبي الرحمـة (صلّى الله عليـه وآله) بفيض مكارم أخلاقه وعظمة روحه، أما الشـجاعة فإنّه ورثها عن آبائه وتربّى عليها ونشـأ فيها، وهو الشّـجاع في قول الحقّ والمستبسـل للدفاع عنه، فقد ورث ذلك عن جـدّه العظيم محمّد (صلّى الله عليه وآله) الذي وقف أمام أعتى قوّة مشركة حتّى انتصر عليها بالعقيدة والإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك عاصـر أباه أميـر المؤمنيـن عليًّا عليه السـلام، وكيف صارع الضلال والانحراف قـولًا وفعلًا، وأيضًا وقف مع أخيه الإمام الحسـن عليه السـلام وكيـف قارع جبروت معاوية وضلاله، وهكذا خرج الحسـين عليه السـلام، لطلب الإصلاح، وإحياء رسـالة جـدّه النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، والوقوف في وجه الظلم والفساد، لذا فإنَّ قضية الحسـين عليه السـلام، التي حدثـت منذ آلاف السـنين بقيت منارات إنسـانية كونيـة، لأنها ثورة ضد الظلـم والطاغوت، لأثرها الكبيـر والمؤثر في الوجدان الشعبي، خصوصاً أنها كانت مليئة بالفصول المأساوية وزاخرة بالصور التراجيدية، التي تثير في النفوس الأسى العميـق، كونها إيثاراً بالنفس من أجل أهداف سـامية أكبر من حياة الإنسـان المحصورة بسنين العمر، فمثلًا تضحيـة العباس وهـو فـي أرض المعركة وقـد قُطعت يمينـه، يقـول أدافع أبـدًا عن ديني وعـن إمام صادق اليقيـن، حتى يسـقط مضرجًـا بدمائه الزكيـة، ليعلن براءته من الطاغـوت اليزيدي الظالم، وتكون تضحيته خالدة في درسها الإنساني، رغم حزن الفقدان بالموت، وهكـذا بقضية الطفـل الرضيـع وقتله ظمآنًا، وسـبي النسـاء وحرق الخيام وترك المريض والطفل والمرأة في العراء مع فقدان الماء ناهيك عن مؤن الغذاء، فالشعور بالحزن أكثر من مجرّد الشـعور بالأسى فحسب، إنه ردّ فعـل انفعالي طبيعي إزاء فقـدان كبير، فالحزن يحدث عند وقوع تغيُّرات كبيرة في حياة الناس، وهذا ما أثارته ثورة الحسـين وواقعتها على أرض كربلاء، وبروز جيش يزيد الجرّار أمام قلة عدد أصحاب الحسين عليه السلام كما أسـلفنا، ثـم هناك الجرائـم التـي ارتكبها الجيش المعادي ضد الحسـين وأصحابـه بمنع الماء، ومن ثم قتـل الطفل الرضيـع عبد الله وحرق الخيم وما سـبّبه من رعـب لدى النسـاء والأطفال، حيث بـدأت تظهر هـذه التراجيديـا وآثارهـا عبـر السـنين، فكانت هذه المشاعر هي الأساس في الرثاء الحسيني، والذي تخطى هـذه المؤثرات إلى المطالبـة بالثورة، تقـول الدكتورة بنت الشـاطئ: (ما أحسـب أنَّ التاريخ قـد عرف حزناً كهذا طـال مداه، حتى اسـتمر بضعة عشـر قرناً دون أن يفتـر، فمراثي شـهداء كربـلاء هي الأناشـيد، التي يترنّم بها الشـيعة في عيد حزنهم يوم عاشـوراء في كل عام، ويتحدّون الزمن أن يغيّبها في متاهة النسـيان)، فكربلاء تعني الثورة، تعني الحرية، تعني مبادئ الخير والصـلاح التي جسّـدها الإمام الحسـين عليه السـلام علـى ثراهـا، وهكذا أصبحـت كربلاء النشـيد الحزين عند الشـعراء، لتصبح الأنشـودة الحماسية في التنديد بالظلـم، فـكل الثـورات التـي أعقبت ثورة الحسـين اسـتمدت مـن كربـلاء هـذا المعنـى لتصبـح كربلاء المثـال والرمز الرافض للظلم، وكانت معين الشـعراء في الإبداع الشـعري الحزين الـذي يحمل روح الثورة، وشعارها الخالد (هيهات منّا الذلة).. فلماذا خُلّدت ثورة الحسـين؟، الجواب كونها أصبحت درساً بليغاً وعظة واسـعة النطاق أفهمت الناس معنـى الجهاد وحقيقته وأوقفتهـم على واقـع الدفاع عن المبـدأ والعقيدة وأنه يجـب أن يبـذل في سـبيل الديـن والمحافظـة على نواميسـه كل غال ونفيس..! ليس هذا فقط، إنما دماء في سـبيل الحرية وضـد ذل العبوديـة، فارتفعت أن تكـون ذات فضل علـى كل قوى التحـرر العالمية عبر التاريخ، وبالأخص فضلها الجزيل على العالم الإسلامي كافة وبلا استثناء، حينما خاطب أعداءه:

إن كان دين محمد لم يستقم
إلاّ بقتلي فيا سيوف خذيني

فمصرعه عليه السـلام صار حياة جديدة لروح الإسـلام المحمـدي المسـتقيم . وهكـذا صـارت مأثـرة الدماء الحسـينية نبراسًـا لكل أحرار العالـم برفض طواغيت الأرض وبها يخلد شعار الحسين عليه السلام... (هيهات منّا الذلة).. لتكون الحرية في مقتل الحسـين ليسـت تفلتـا من القيم، وإنما هي انسـجام تام مـع النواميس والقوانين الاجتماعية والكونية.

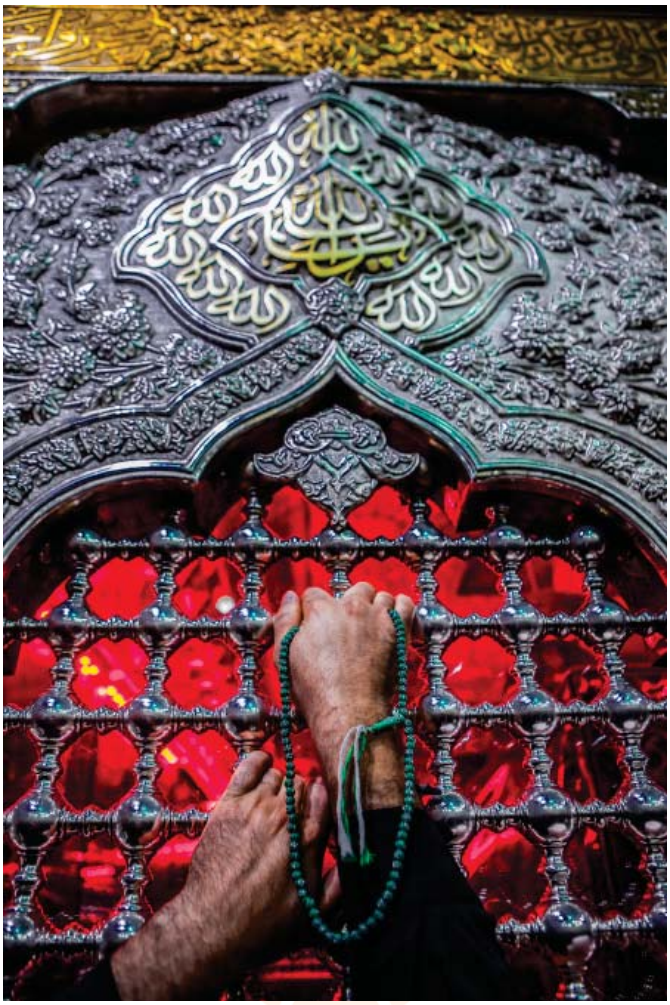

محمد حسن الساعدي

قراءة في خطاب الإمام الحسين يوم عاشوراء والتأسّي بوصايا المرجعيَّة

منذ خروج الإمام الحسين من المدينة المنورة والأحداث تتوالى وتتزايد، فكلّ محطة من محطات سفره فيها قراءة ووقوف جدي نستشعر من خلالها دقة وعظمة أبي عبد الله في رحلته التي هي ليست مجرّد حادثة تاريخية وقعت في تاريخ المسلمين ثم انتهت، وحينئذ فلا نحتاج إلّا أن نقيّم نهضة الإمام الحسين (ع) للإطاحة بعرش الطاغوت من ناحية مسؤوليته ونقف عند ذلك، وإنّما نعتقد أنَّ ثورة الحسين (ع) وحركته قضية تتجدد على مرّ العصور والأيام، فقد كان خطاب الإمام الحسين شمولياً تبعاً لحركته، فقد خاطب فيها العبد والسيد، وجاهر بخطاب الاعتدال والوسطية وناهض العبودية والاستعباد التي مورست ضدّ المواطن والمجتمع عموماً إبّان حكم معاوية والتي اتسمت بالدموية.

خطاب الإمام الحسين اتسم بأنه نادى بالوطنية والتمسك بالمبدأ، وعدم الركون إلى الظالم، إضافة إلى أنَّ أبا عبد الله لم يقصد من ثورته على الحكم تغيير يزيد بالذات؛ لأنه هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، فتكون ثورته ثورة قبلية كما يصوّرها البعض ويعتقد بأنَّ الخصومة بين الهاشميين والأمويين مستمرة منذ قرون قبل الإسلام وبعده، ولهذا خرج الإمام الحسين (ع) وعلّل ثورته على حكم يزيد في بعض خطبه وبياناته، ويتضح ذلك جلياً ممّا جاء في الوثيقة، التي خاطب بها الحسين عليه السلام أمام أول كتيبة للجيش الأموي: "أيها الناس! إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحُرم الله، ناكثاً لعهده، مخالفاً لسنة رسوله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله".

ما حدث في واقعة كربلاء فظائع ومآسي أصبحت في ما بعد أساساً لحزن عميق في اليوم العاشر من شهر محرّم من كلّ عام، إذ أحاطت خيول بني أمية بالإمام الحسين وأتباعه، وكان بوسع الحسين أن يعود إلى المدينة لو لم يدفعه إيمانه الشديد بقضيته إلى الصمود ففي الليلة التي سبقت المعركة بلغ الأمر بأصحابه القلائل حداً مؤلماً، فأتوا بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم فحضروه في ساعة من الليل، وجعلوه كالخندق ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب وأضرموا فيه النار لئلا يهاجموا من الخلف.. وفي صباح يوم العاشر قاد الإمام الحسين أصحابه نحو الخلود والتضحية، وهو يمسك بيده سيفاً وباليد الأخرى القرآن.

لقد أثبتت ثورة الإمام الحسين أنَّ النفس أغلى ما يمكن التضحية بها من أجل الدين والمبدأ، لذلك كان شعار أبي الأحرار منذ لحظة خروجه هو رفض الظلم وطلب الحرية والمساواة، لذلك لم يخرج الإمام الحسين (ع) على شخص يزيد حتى لا تحسب أنها نزاع وثأر عشائري بين بني هاشم وبني أمية ولكنه كان خروجاً على الدولة الفاسدة التي استحلت دماء الأبرياء وهتكت حرمهم، وهجرت الأسر، حيث بلغ عدد الأسر المهجّرة من الكوفة إلى خراسان أكثر من 125 ألف أسرة موالية لأهل البيت (عليهم السلام)، إضافة إلى الملاحقة لأنصار الحسين قبل دخوله الكوفة ما جعل الوضع الأمني في الكوفة في حالة فوضى وعدم استقرار.

توالت قضية الإمام الحسين (ع) جيلاً بعد جيل وحملتها الأجيال أمانة في أعناقها ففي كل عام يسعى الموالون لأهل البيت (ع) إلى تجديد العهد والعزاء والثبات على مسيرة ونهج أبي عبد الله، ذلك النهج الذي كانت وما زالت المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف تؤكد عليه ووضعت مبادئ متينة للتعامل مع هذه الفاجعة، ولإحياء العزاء نبهت إلى ضرورة:

1. الركون إلى القرآن الكريم في الخطاب كونه دستور المسلمين ويحدد العلاقة في ما بينهم ويحكم تصرفاتهم.
2. الاهتمام بالعقيدة الحقة ودلائلها المحكمة من أدلة قوية ووجدانية بأساليب تكون قريبة من الفهم العام.
3. الاهتمام ببيان التعاليم والقيم الفطرية الإلهية السامية والإنسانية المتمثلة بدعوة النبي وعترته الأطهار والاحتذاء بهم كونهم الأسوة والقدوة.
4. الالتزام بوصايا أهل البيت والعمل بها.
5. أن يكون الخطيب على حذر في تبيان العقائد الإلهية ومسلمات أهل بيت العصمة بشأن مقاماتهم الشريفة من أن يوهن أهمية الطاعات ويهون المعاصي في أعين الناس.
6. تجنّب كلّ ما يثير الفرقة بين المؤمنين والاختلاف فيهم والاهتمام بالحفاظ على وحدتهم وتآزرهم والتواد بينهم.
7. تجنّب القول بدون علم وبصيرة فإنَّ ذلك محرم في الدين.
8. التأكيد على المعاني التربوية في الخطاب وأن يعكسوا تعاملهم الشخصي مع العوام.
9. أن تتطابق خصال وسريرة الخطيب مع توصيفاته.
10. أن يتصف الخطيب باللياقات الملائمة لهذه الوظيفة الشرعية.
11. أن يهتم الخطيب بنقد نفسه، ممحصاً لأقواله وأدائه بين الناس.
12. أن يجعل الخطيب الخوف من الله نصب عينيه ويستحضر رقابته عليه وأن يسعى إلى رضاه وقبوله.

مازالت وستبقى ثورة الإمام الحسين (ع) تعيش بأوجها، وعلى الرغم من ولادتها يوم العاشر من محرّم لسنة 61هـ إلا أنها ظلت تعيش في وجدان الأمة الإسلامية، وأصبحت شعلة تنير درب الأحرار في كل مكان، وإنَّ الاستعمار وأذنابه في بلاد المسلمين يشنون هجوماً واسعاً وحرباً شعواء ضد أهداف ثورة الإمام الحسين (ع)، وهم يعلمون أنَّ ثورته (عليه السلام) هي القلعة الوحيدة الصامدة لأي تمنع أو انحسار للمبادئ الإسلامية أو تقدم الاستعمار مع أنَّ حربهم لا تستند إلى دليل معين، وإنما تنتهز كل حقّ وباطل لضرب هذه الثورة المقدسة، فمرّة تستدل بالآراء الشاذة لبعض المؤلفين، والذين أمسوا أذناباً للاستعمار وأهدافه في ضرب الدين المحمدي الأصيل.

فضل زيارة الحسين (ع)

وسام الفرطوسي

لأنَّ النهضة الحسين "ع" توسمت بالسمات الدينيَّة الخالصة عن الشوائب الأخرى شاء الله تعالى أنْ تبقى حية نابضة على مدى العصور وفي مختلف المجتمعات الإسلاميَّة بل غير الإسلاميَّة أيضاً. وقد نرى عنايته عز وجل بدوام هذه الحركة المقدسة في الآثار الدينيَّة والتاريخيَّة.

ومن فضل الحركة الحسينية المقدسة أن لزيارة الحسين فضلاً كبيراً، وهناك أحاديث مأثورة متوافرة عن النبي "ص" والأئمة المعصومين "ع" وكبار الصحابة والتابعين، نوهت بمكانة الحسين "ع" وفضل زيارته وإقامة عزائه والبكاء لمصابه.

وما روى عن الإمام علي بن أبي طالب "ع" في زيارة الحسين عليه السلام، قال: زَارَنَا رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَدَّمْنَا إِلَيْهِ طَعَاماً وَأَهْدَتْ إِلَيْنَا أُمُّ أَيْمَنَ صَحْفَةً مِنْ تَمْرٍ وَقَعْباً مِنْ لَبَنٍ وَزُبْدٍ فَقَدَّمْنَا إِلَيْهِ فَأَكَلَ مِنْهُ فَلَمَّا فَرَغَ قُمْتُ وَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَاءً فَلَمَّا غَسَلَ يَدَيْهِ مَسَحَ وَجْهَهُ ولِحْيَتَهُ بِبِلَّةِ يَدَيْهِ ثُمَّ قَامَ إِلَى مَسْجِدٍ فِي جَانِبِ اَلْبَيْتِ وَصَلَّى وَخَرَّ سَاجِداً فَبَكَى وَأَطَالَ اَلْبُكَاءَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَمَا اِجْتَرَأَ مِنَّا أَهْلَ اَلْبَيْتِ أَحَدٌ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ فَقَامَ اَلْحُسَيْنُ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ يَدْرُجُ حَتَّى صَعِدَ عَلَى فَخِذَيْ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَخَذَ بِرَأْسِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَوَضَعَ ذَقَنَهُ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَتِ مَا يُبْكِيكَ فَقَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ إِنِّي نَظَرْتُ إِلَيْكُمُ اَلْيَوْمَ فَسُرِرْتُ بِكُمْ سُرُوراً لَمْ أُسَرَّ بِكُمْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ فَهَبَطَ إِلَيَّ جَبْرَئِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّكُمْ قَتْلَى وَأَنَّ مَصَارِعَكُمْ شَتَّى فَحَمِدْتُ اَللَّهَ عَلَى ذَلِكَ وَسَأَلْتُ لَكُمُ اَلْخِيَرَةَ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَتِ فَمَنْ يَزُورُ قُبُورَنَا وَيَتَعَاهَدُهَا عَلَى تَشَتُّتِهَا قَالَ طَوَائِفُ مِنْ أُمَّتِي يُرِيدُونَ بِذَلِكَ بِرِّي وَصِلَتِي - أَتَعَاهَدُهُمْ فِي اَلْمَوْقِفِ وَآخُذُ بِأَعْضَادِهِمْ فَأُنْجِيهِمْ مِنْ أَهْوَالِهِ وَشَدَائِدِهِ.

وفي حديث آخر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن علي بن الحسين، عن الحسين ابن علي قال: قال الحسين بن علي عليهما السلام: يا أبتاه ما لمن زارنا ؟ فقال: يا بني من زارني حياً وميتاً ومن زار أباك حياً وميتاً ومن زارك حياً وميتاً كان حقيقاً عليَّ أنْ أزوره يوم القيامة فأخلصه من ذنوبه وأدخله الجنة.

ياحسين

الصباح
ALSABAAH NEWSPAPER
رئيس التحرير
أحمد عبد الحسين
ch.editor@alsabaah.iq